أنور الجندى

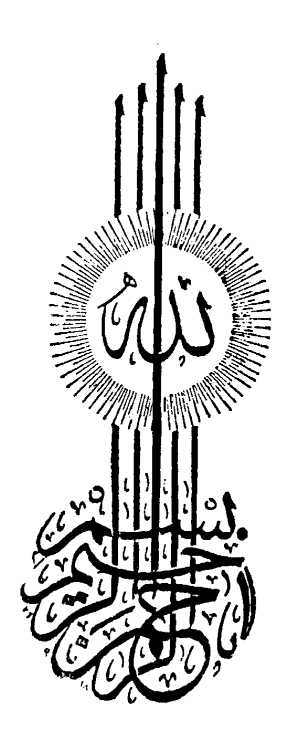
الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية

دار الصحوة
للنشر والتوزيع بالقاهرة

انــور الجندى

الطريق إلى الأصالة والخروج مـن التبعية

مطبعة دار التأليف
٨ ، ٩ شارع يعقوب ــ بالمالية
تليفون : ٥٤١٨٢٥





الفهرس

الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية

صفحه

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

أمانة المسلمين وعهدهم فى مطالع القرن الخامس عشر

الخروج من التبعية

روى الإمام أحمد فى مسنده عن تميم الدارى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر ، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، أما الذين يذلهم الله فيدينون لغيره » نقدم هذا القبس النبوى الكريم فى مواجهة الذين يخدعهم بريق الحضارة الغربية ويظنون أنها نبوة جديدة للبشرية تنسخ الأديان وتدفع إلى التأويل وتدعوا إلى (**تطوير**) القيم حتى تطابق هذا الواقع المضطرب الذى تعيشه المجتمعات الغربية نتيجة فساد وجهة الحضارة الغربية وخروجها عن أمر الله وغياب وجهتها الربانية ومنطلقها الأخلاقى ، هؤلاء الذين يصفون الإسلام

بأنه القديم ، أو بأنه التراث أو حسب تعبير بعض الماركسيين (**السلفية التراثية**) ظنا منهم أن المسلم يخشى أن يوصف بأنه سلفى أو تراثى أو متعلق بالقديم أو راغب فى العودة إلى المنابع . . فربما يظن أن ذلك يغض من قدره فى مواجهة دعاة التقدمية والعصرية والحداثة .

لا والله أبدا ، فنحن نعرف الإسلام معرفة صادقة ، إنه دين الإنسانية الخاتم الذى جاء (**ليظهره الله على الدين كله**) والذى جاء كتابه (**مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**) والذى قطع بين ماضى البشرية وحاضرها ، وعرف ذلك باسم (**الانقطاع الحضارى**) .

لقد كانت الأديان كلها قبل الإسلام تمهيدا للإسلام الذى يمثل عصر « رشد الإنسانية » ، إن من ينظر فى دقة وعمق إلى هذه المفاصلة التى يقيمها الإسلام فى تعاليمه وبالنسبة لأهله ، وبين التقاليد والقيم التى كان يعيشها الناس من قبله تكشف فى وضوح أنه بالإسلام قد بدأ عهد جديد يتغلغل إلى أبعد مدى فى أمور المعاملات ، فقد أعطاهم منهجا محكما قادراً على مواجهة متغيرات العصور والبيئات أضاء العالم كله ألف سنة كاملة ، وأقام حضارة الرحمة والأخاء البشرى وقدم منهجا تجريبيا ، ومفاهيم وقيما لم تستطع البشرية وحدها أن تصل

بعد إلى عشر معشارها ، ولقد جاء هذا الدين ليرسم الطريق للإنسانية إلى يوم القيامة بعد أن بلغت رشدها فكان أسلوبه فى التعامل مع الناس غاية فى الحكمة والرحمة : لا إكراه فى الدين ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وعامل أهل الكتاب معاملة كريمة شهد بها كتاب الغرب الذين قارنوا بين مذابح الأديان والفرق من أمثال معركة سانت برتلمى ومحاكم التفتيش وبين سماحة الإسلام عندما انتصر المسلمون فى حطين ورفض صلاح الدين مجازاة الصليبيين عما فعلوا بالمسلمين يوم دخلوا بيت المقدس وذبحوا ستين ألفا وقالوا إن خيولهم كانت تخوض فى دماء المسلمين إلى الركب ، وقدم الإسلام مجتمعا يتسع لكل الأديان والأجناس والألوان واللغات دون تفرقة ، ومما آمنت به أمة محمد أنها آمنت بكل رسول وكل كتاب سبق ومن هنا قال رسول الله ﷺ أنه سيكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة .

إن هناك علامات كبيرة تكشف عن تحرير الإسلام للمسلمين من أخطاء الأمم السابقة ومن آثامها،وضوابط كثيرة أقامها القرآن لبناء مجتمع ربانى،وتميز واضح بين الإسلام وبين ما قبله ، فقد أعطى المسلمون من العطاء ما لم تعطه الأمم من قبل .

كل هذا يكشف عن الحقيقة التى نود أن نصل إليها وهى عملية « **تميز الإسلام** » بذاتيته الخاصة المفردة التى كانت منذ أول يوم فى غير حاجة إلى مناهج وافدة ، فقد أعطاها الحق تبارك وتعالى (**منهج المعرفة ذى الجناحين**) وأعطاها (**منهج التجريب**) وأعطاها منهجا كاملا للميتافيزيقا فلا تحتاج معه إلى سفسطات الفلاسفة الذين ينكرون الغيب .

ولعل هذا هو الذى دعا القوى الإستعمارية والتغريبية المتسلطة إلى العمل على هدم ذاتية الإسلام وتفرده ، فى محاولة لصهره فى بوتقة الأديان والحضارات والأممية والحضارة المعاصرة للقضاء على هذه الذاتية المتميزة المعدة لحمل أمانة الدعوة والتبليغ لأهل الأرض جميعا وإلى يوم القيامة. ولكن يجب أن ننظر إلى هذه المحاولة الماكرة الخبيثة فى يقظة، ونقف موقفا حاسما من تلك المحاولات التى تجرى تحت أسماء كثيرة فى محاولة لاحتواء الإسلام تحت أسماء وحدة الأديان وتطوير الشريعة والادعاء الكاذب بأن الإسلام قابل للديمقراطية وقابل للاشتراكية وقابل للإمبريالية ، وأن العدل الاجتماعى هو الإشتراكية وأن الشورى الإسلامية هى الديمقراطية .

إن هناك دعوة إلى احتواء الإسلام فى القومية ، واحتواء الإسلام فى الحضارة الغربية تحت اسم العالمية والأممية ،

كذلك هناك دعوة إلى احتواء الإسلام من ناحية المنهج بما يسمى تطوير الشريعة وتطوير الأخلاق وتطوير الأدب وتطوير الدين وتطوير اللغة العربية وهم يتحدثون عن ذلك كله ويظنون أن الإسلام منهج بشرى قابل للتطوير وأن الأدب واللغة والأخلاق هى مسالك مستقلة يمكن الجرى فى ميدانها بعيداً عن الإسلام، وكذبوا، فإن الإسلام جماع هذه العناصر جميعا وله سلطانه عليها جميعا حيث يشكلها الإسلام فى منظومة جامعة فلا يستطيع الأدب العربى مثلا أن يتحرر من إطار الإسلام فيذهب مع الجماليات دون الأخلاق ، أو أن يجرى مع أساليب الكشف والإباحة ظنا أنه يملك حرية التعبير ، كذلك فإن دعوى القائلين بأننا أحرار فى أمر اللغة ، هى دعوى باطلة ، لأن هذه اللغة ليست ملك المصريين ولا العرب ولكنها ملك ألف مليون مسلم نزل بها كتابهم ودستورهم الذى يسترشدون به فى مختلف جوانب حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

كل هذا «التميز» الذى يجعل الإسلام منهجا مستقلا خالصا لبناء المجتمع الربانى منوط بـ : « الأمانة » التى نحن مطالبون بالمحافظة عليها وحمايتها من أن تذوب أو تتبدد بين أيدى الطامعين فى صهر الإسلام فى بوتقة الأممية ، لينحرف عن وجهته

الأساسية أو يتحول — سواء بالفلسفات الوثنية والمادية أو بالتحريف أو التأويل — عن صورته القرآنية التى أنزل بها من لدن حكيم خبير ، وليشوّهوا طابعه الربانى الأصيل الذى يجب أن يرتفع فوق كل محاولات تغييره أو تزييفه — .

إن عملية خلط الأوراق التى يحاول البعض أن يقوم بها هى عملية باطلة وزائفة ويرفضها الإسلام تماما ، وخاصة تلك الدعاوى عن وحدة الأديان أو تماثل الإسلام مع الديمقراطية أو الإشتراكية فإن كل هذا زيف خادع ، إن الإسلام : « **شريعة الله الربانية الخالدة** » بالمقارنة إلى الإيدلوجيات البشرية التى تصدعت وأصابها الاضطراب وغلبتها متغيرات الزمن فاحتاجت إلى الحذف والإضافة ، كذلك فإن هذه المحاولات التى يقوم بها من يلبسون ثوب الإسلام ويدعون الغيرة عليه ويحاولون تبرير الواقع وقبول الرخص ليرضى عنهم أصحاب المصالح والخبراء الأجانب الذين يخفون العداوة والبغضاء ويطالبون بالتنازلات ، أملا فى أن يصلوا إلى هدم تلك الحواجز الأساسية أو تذويب القيم الرئيسية التى تفصل الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب حتى لايظل قائما كالمنارة السامقة فى وجه المذاهب والإيدلوجيات

هذه المحاولات التى تجرى تحت أسماء كثيرة إنما ترمى أن يتنازل الإسلام عن حدوده ومقوماته ليقبل الحضارة

الغربية المعاصرة فى فسادها وانهيارها وأن يكون مبرراً لانحرافها ، وهذا ما لا يستطيع الإسلام أن يقوم به ، إن الذين يدعوننا إلى أن نأخذ الفكر الغربى مع التراث الإسلامى واهمون ، فإن فى الفكر الغربى مفاهيم كثيرة تخالف أسس الإسلام ، منها التعدد والخطيئة والخلاص واختلاط مفهوم الألوهية بالنبوة ، والفصل بين الروح والمادة ومذاهب الوجودية والفرودية والهيبية مرورا بالإلحاد والإباحة والعرى وثورة الجنس ومذاهب ديوى ودوركايم وماركس وميكافيلى ، كل هذا مما يشكل أسس الفكر الغربى المعاصر ، وقد تركت تمزقات هذا الفكر خلال ثلاثة قرون آثاراً بعيدة على السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية فكيف يمكن أن يقال اليوم إنه يمكن الجمع بين تراث الإسلام وفكر الغرب المعاصر فى وحدة لتقوم نهضة المسلمين على هذا الركام المضطرب الذى لا يمكن خلطه بتراث الإسلام القائم على التوحيد والرحمة والعدل والشورى والإخاء البشرى .

إن غاية ما يقال : أن للمسلمين منهجهم الأصيل وأسلوب عيشهم الخاص ، وأن حاجتهم فى الفكر الغربى تقف عند العلوم التجريبية وحدها ، هذه العلوم التى يجب أن تنصهر

فى الفكر الإسلامى أساسا حتى لا تتعارض بصورتها القائمة مع مفاهيم الإسلام وقيمه وخاصة ما قرره الإسلام من من مهمة الإنسان فى الأرض والمسئولية الفردية والإلتزام الأخلاقى والبعث والحساب والجزاء الأخروى وما يختلف مفهوم الإسلام ومفهوم الغرب فيه من عشرات المسائل وخاصة وجهة المجتمع وغايته وما يتصل بها من توزيع الثروة وبناء الأسرة وعلاقة الرجل والمرأة. إن الإختلاف اليوم بين الإسلام والفكر الغربى بعناصره الماركسية والليبرالية هو اختلاف عميق بالغ العمق ليس من السهل إسقاطه .

ويجب أن يلاحظ أن دعوة الانفتاح على الغرب فى مجال الفكر والثقافة لابد أن تكون مشروطة بحاجة الأمة الإسلامية وبما يصلح لها وفى ظل حريتها الكاملة فى قبول ما يتفق مع جوهر فكرها على أن يصبح كل ما تقبله (**مادة خاما**) من حقها أن تشكلها كما تريد وفق جوهر فكرها . وجملة القول أننا فى حاجة إلى العلوم التجريبية وحدها ، وفى حاجة إلى الوسائل والأدوات ولسنا فى حاجة إلى المناهج والإيدلوجية.

وأن أكبر أهدافنا قبل ذلك وبعده هو « **الخروج من التبعيه** »

الفصل الأول

نحن على أبواب عصر القرآن

إذا كان بعض المفكرين قد أطلق عبارة (**عصر العلم**) على المرحلة التى تعيشها البشرية منذ القرن الخامس عشر الميلادى إلى اليوم فإننا نستطيع بكل ثقة ويقين أن نطلق على ما تتحول إليه البشرية اليوم حثيثا وتبدو فى كل يوم علامة من علاماته ومظهر من مظاهره : «**عصر القرآن**»، هذه العلامات قد تعددت واتسعت وانداحت على القارات الخمس حتى أصبحت الشمس لا تشرق كل صباح فى أى قطر غربى إلا على مسلم جديد ، وهذه المحاولات فى مراجعة الأخطاء وتصحيح المفاهيم وتغيير النظرة القديمة فى كتابات المستشرقين والمبشرين ، وغيرهم ، وهذه الدراسات المنصفة التى تكتب عن محمد ﷺ وعن الإسلام والقرآن واللغة العربية حتى يضع غربى مسيحى : « سيدنا محمد » على رأس الأعلام المائة ، وهذا الاعتراف بفضل الإسلام على الحضارة الغربية ، وهذا التقدير الواضح للفقه الإسلامى وخصوبته وعظمته وآيات

عطائه ، كل هذا يمثل نافذة رحبة يضىء منها القرآن على العالم اليوم ، فى عصر الحيرة والشك والقلق والتمزق النفسى ، وحيث فقد الناس فى العالم كله ثقتهم فى الأيدلوجيات والمذاهب والدعوات بعد أن تكشفت لهم من وراءها أهواء وزيوف ، فهم يتطلعون إلى شىء فوق الشك ، يملأ القلب بالثقة واليقين ، شىء واحد على الأرض مازال مرتبطا بالسماء مستمداً منها ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو القرآن الكريم .

فنحن حقا وصدقا على أبواب (**عصر القرآن**) : عصر النور الإلهى الكاشف ، وعصر الحقيقة الواضحة ، وعصر الإيمان واليقين ، وهو العصر الذى سيعطى كل شىء مهمته الحقيقية دون قصور أو تقصير .

هذا القرآن الكريم : « المنهج » الذى أعطاه الله تبارك وتعالى للبشرية عندما وصلت إلى مرحلة النضوج والرشد والقدرة على التحرر من أهواء البشرية وطفولتها ، عندما آذنت بانتقالها إلى الإنسانية على يديه ، منذ خمسة عشر قرناً أهدى الله البشرية منهجها الربانى فى أسلوبه الرائع وبيانه الرفيع ومضمونه الكريم ، وبه قدم للإنسانية ثروة ضخمة واسعة فى مختلف مجالات علوم الحياة ، ولكن البشرية

أرادت أن تأخذ ما تهوى فأخذت شطراً واحداً هو المنهج التجريبي وصنعت به الحضارة وتجاهلت أن المنهج متكامل جامع مترابط وأن أى نظام لا يقوم عليه فى إجماله سيظل نظاما مضطربا ممزقا تخترقه الأحداث وتتقاذفه المتغيرات .
إن شرط (**منهج القرآن**) أن يطبق كاملا وأن يبدأ من نقطة البدء : من لا إله ألا الله حيث يكون الإنسان والمجتمع والحضارة لله خالصا لا للمطامع ولا للأهواء ، ولذلك فإن المنهج التجريبي الإسلامى حين أخذته أوربا .

١ - فصلته عن (**البعد الإلهى**) فى أن أمر المجتمع والعلم والحضارة كله إلى الله وحده .

٢ - تجاهلت قانون الثوابت والمتغيرات .

٣ - أنكرت المسئولية الأخلاقية والمسئولية الفردية .

٤ - وهى أخطرها أنكرت ارتباط الفكر بالتطبيق وارتباط المنهج بالتجربة وهى الخطوة الخطيرة التى أقدم عليها (ديكارت) فمزقت الحضارة الغربية منذ ذلك اليوم على هذا النحو ولم يعد فى إمكانها العودة .

ولاشك أن ارتباط المنهج بالتطبيق قضية كبرى فى القرآن تتصدر سورة كريمة من سوره وتدق الأبواب بقوة لتقول : [إعملوا] وهى (سورة الصف) « **يأيها الذين آمنوا لم تقولون**

ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

هذه هى قوانين الإنسان فى بناء الحضارة والمجتمعات والحياة فإذا انتقصت عجزت ، وأصابها الاضطراب ، واخترقتها المتغيرات ، ولوت هى عنقها وعصت فكان لابد من ضربها ، ولقد كشف القرآن عن قوانين سقوط الحضارات وهزيمتها وذلك حينما تستعلى على الله وعلى الحق وعلى حدود الله .

(**فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**)

(**أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات والأرض إنه كان عليما قديرا**) سورة فاطر

لقد اندفعت الحضارة فى طريقها فاستنزفت ثروات العالمين ، وفتحت أبواب الترف والفساد وأعطت الألوف وحرمت الملايين ، وهددت البشرية بالأخطار الرهيبة ، فكان هذا آخر عصر العلم ، وأول عصر القرآن . لقد قدم الله تبارك وتعالى منهجه الربانى للبشرية وترك لها حرية قبوله

إذا شاءت (**من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) وقد أقبلت على منهجها البشرى الذى يجمع أهواءها ومطامعها فماذا رأت ؟ رأت نفسها تعيش عصر الأزمة والتمزق والانهيار والفساد وها هى اليوم تتطلع إلى منهج جديد ، وإلى نور جديد ، إلى مخرج لها من مرحلة الظلام الحالك الذى وصلت إليه) .

إن هناك حقيقة أساسية هى الانقطاع الحضارى ، فإن الإسلام جاء حداً فاصلا بين عصر الرشد الفكرى الذى وصلت إليه البشرية فاستحقت هذه الرسالة العالمية الخالدة الجامعة ، بعد أن كانت الرسل تأتى لأمم بعينها ، ولمرحلة معينة ، حتى جاء الإسلام ، فكان علامة على مرحلة جديدة تمر بها البشرية ،لها طابعها المتميز والخاص والمختلف إختلافا واضحا عما قبله ، لقد كانت الأديان كلها قبل الإسلام تمهيداً للإسلام الذى أدخل البشرية« عهد الإنسانية» إن من ينظر فى دقة وعمق إلى هذه المفاصلة التى يقيمها الإسلام فى تعاليمه بالنسبة لأهله وبين القيم والتقاليد والعادات التى كان يعيشها الناس من قبله، تكشف فى وضوح أن عصراً جديدا قد بدأ ، ويجب على كل من عاصره أن يدخل فيه ،

لأنه عصر ، ورث ثقافات الأمم وتراثها كله فنظر فيه فى ضوء التوحيد وكشف عما فيه من أخطاء وزيوف ورفض ما فيه من أساطير ووثنية ، وما قبله من تراث البشرية من ميراث الأنبياء : استصفاه وصهره فى بوتقته ، وما عدا ذلك فقد اعتبره من ركام الزيف الذى حملته الباطنية والمجوس والوثنية والشفونية وألقت به مرة أخرى فى طريق الإسلام وكان على علماء المسلمين كشفه وتزييفه ودحضه ، وتحرير الفكر الإسلامى منه ، وقد كشف ذلك كله عن « **الذاتية** » الخاصة المفردة للإسلام والطابع الخالص المختلف تماما عن تراث الوثنية الزائف حيث رد القرآن الأمور إلى الحنيفية السمحاء ، وارتبط بها ، واستدار الزمان مرة أخرى كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فى ضوء هذا العطاء الخالد الذى أخرج البشرية من الظلمات إلى النور وهداها إلى طريق الله الحق على قاعدة إسلام النفس لله والإذعان لأمره ، وقبول منهجه والعمل على بناء المجتمع الربانى .

ثم كان الامتحان الخطير الذى امتحن الله به المسلمين :

أولا : هذه الحضارة المادية الضالة المنحرفة عن طريق الله .

ثانيا : هذه الغزوة الصهيونية التى اتخذت من بيت المقدس رأس جسر لها للزحف على معاقل الإسلام .

هذا هو الامتحان الذى يواجه المسلمين منذ الحملات الصليبية ، ومن بعد على يد الاستعمار الغربى والتحدى الصهيونى والأخطار الماركسية .

ولابد للمسلمين أن يقتحموا هذا الخطر فيقيموا مجتمعهم الإسلامى الربانى ويجددوا حضاراتهم الإسلامية ذات العطاء الأخلاقى ، ولا بد أن يجدد المسلمون فريضتى الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن يتحرروا من التبعية ومن الخوف من غير الله ، ولا يبهرهم بريق الحضارة الزائف ولا الفكر الوافد ويعتصموا بالقرآن فإنه طريق البشرية الحق ، الذى سيهديها إلى الحق .

ومنذ نزل القرآن على قلب محمد بن عبد الله وقد بدأت البشرية عصر الإنسانية ، عصر المجتمع الربانى ، الذى أشرقت أضواؤه على العالم كله ألف سنة كاملة ، حتى أتم المسلمون دورة ، تخلفوا بعدها عن منهج الله ، وركنوا إلى زيف المفاهيم ، وجبرية الصوفية ، وخرجوا عن مفهوم أهل السنة والجماعة ، وخدعتهم الفلسفات الباطلة

والأهواء المضلة وظنوا أن الدنيا تمر بنهايتها ، وغفلوا عن أن الإسلام جاء ليجدد الحياة ويسلمها للصالحين من أهلها ، ويحررها من عبث الشعوبية والمادية والإباحية . لتسلم الإنسانية وجهها لله تبارك وتعالى ، مذعنة له ، وهذه هى المرحلة التى نحن فى مطالع القرن الخامس عشر على أبوابها .

فليعلم المسلمون أننا على أبواب عصر القرآن ، بعد أن أوشك عصر الوثنية الغربية المستمدة من الأغريقية الرومانية أن يأفل وينتهى .

إن كتابات المفكرين الغربيين الأعلام الذين درسوا الإسلام فى الغرب وآمنوا به تكشف تماما عن حاجة البشرية إلى نور جديد وليس غير القرآن ، وإلى منهج جديد وليس غير منهج الله ، لأنه هو المنهج الباقى الخالد الذى يستطيع أن يعطيها على مدى العصور وعلى مختلف البيئات وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يعطها أمان الحياة وأشواق الروح وراحة الضمير .

لقد جربت أوربا كل مذهب وكل أيدلوجية وجرت وراء كل صيحة ولكنها لم تتحرر يوما من أهوائها ، ولم تلجأ إلى ربها ، ولم تلتمس الطريق الأصيل ، لابد أن تعود

البشرية إلى الله فتقبل حدوده وقيمه ، أما الإسلام فإنه لن يكون يوما من الأيام مبرراً لفساد الحضارة ، ولا مؤلا لأخطاء البشرية ، إنه الحق القوى الثابت الذى يجب أن تخضع له الأمم والشعوب وتخبت له القلوب والعقول ، على البشرية أن تسلم وجهها لله تبارك وتعالى وأن تقبل بطريقه وغاياته ، فتلك الغايات وحدها هى القادرة على أن تنقذ البشرية من أزمات التحلل والتمزق والفساد التى تحتويها الآن ، كما أنها تنقذها أيضا من عذاب يوم القيامة .

إننا على أبواب عصر القرآن ، فإذا لم تصدقوا فراجعوا أوراقكم مرة أخرى ولتعلمن نبأه بعد حين .

الفصل الثاني

الدعوة إلى الإنفتاح على فكر الشرق والغرب

ما حدودها وضوابطها ومحاذيرها

إن الدعوة إلى الانفتاح على الفكر العالمى : هى دعوة إسلامية صحيحة وأصيلة وقائمة منذ فجر الإسلام ولكن بضوابطها وحدودها وأساليبها التى تحفظ الذاتية وتحول دون انهيارها وانصهارها فى الفكر الوافد وهى دعوة قام المسلمون عليها فى عصر الترجمة قوامة أصيلة فملكوا إرادتهم ولم يترجموا إلا ما هم فى حاجة إليه وما لا يتناقض مع قيمهم الأساسية ، ولكن عندما جاء المأمون وفتح باب ترجمة الفلسفة اليونانية التى هى [علم الأصنام عند اليونان] وقف المسلمون لها فى يقظة وكشفوا أخطاءها ومازال مفكرو المسلمين فى كل عصر قادرين على التفرقة بين الإنفتاح المنضبط على فكر الشرق والغرب وبين الدعوة المسمومة الخفية وراء ذلك إلى ترجمة كل سموم الفكر الوثنى والمادى سواء فى القديم أو فى الحديث وهذا هو ما يطلق عليه التغريبيون عبارة (**تقييد حركة الفكر وشل نشاط العقل والحجر على التأويل العقلى**) فالإسلام منهج قرآنى

لا منهج فلسفى ، ودعاة الفلسفة الذين أخذوا بالتأويل والمنطق اليونانى ،وتسموا تارة باسم المعتزلة أو رجال الكلام أو الفلاسفة المشائيين، كل هؤلاء هم خارج دائرة الإسلام،الإسلام يقيم منهجه على مفهوم القرآن الجامع للأساليب العقلانية والوجدانية والتاريخية ومخاطبة كل قوى الإنسان ، ويؤمن بما ورد عن الله تبارك وتعالى وآياته وصفاته على النحو الذى حدده القرآن الكريم **(منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)** ٧ — آل عمران .

ومن هنا فنحن فى مفهوم الإسلام لا نقر هذه المحاولات التى تريد أن تدخلنا فى متاهات الفلسفة والمنطق والتأويل ، وقد مر المسلمون بهذه المرحلة قديما ومروا بها حديثا على يدى جمال الدين ومحمد عبده والعقاد وإقبال ، ووصلوا إلى مرحلة **(المنهج القرآنى)** الذى يقدم لنا منهجا كاملا للغيب **(الميتافيزيقا)** فلا نحتاج معه إلى أساليب اليونان ولا إلى إحياء هذه الأفكار التى هدمها علماء المسلمين أمثال الأفلاطونية أو الغنوصية أو غيرها من فلسفات لم تكن إسلامية أصلا والتى حاول البعض إحياءها فى ظل الإسلام

فعجزت عن البقاء ، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة وهم يريدون إخراج المسلمين منه بإعادتهم إلى مستنقع الفلسفات والتأويل .

ومن هنا فإن القول بأنه (**لا خوف على شخصيتنا الإسلامية من الإنفتاح على فكر الشرق والغرب**) قول يحتاج إلى مراجعة فكيف يمكن أن تحتفظ شخصيتنا الإسلامية بكينونتها ووجودها وذاتيتها وتميزها الخاص إذا تركت بغير ضوابط وتحفظات أمام عواصف الفكر الشرقى (**البوذية والنرفانا والغنوصية** والحلول والاتحاد والفكر الغربى **بمفاهيمه عن الخطيئة والتعدد والمانوية والمزدكية**) وغيرها ، إن أى أمة من الأمم وأى عقيدة من العقائد لابد أن تحافظ على وجودها وكيانها من الانصهار فى ثقافات الأمم .

وكيف نطالب اليوم بالانفتاح على فكر الشرق والغرب وقد وقع هذا الإنفتاح منذ سقطت الأمة الإسلامية فريسة فى يد النفوذ الأجنبى ففرض عليها من المترجمات كل ما هو خبيث وفاسد ، لقد ترجمت إلى اللغة العربية — وأهلها لا يملكون إرادتهم وهم مقيدون بالنفوذ الأجنبى — كل ما فى الغرب من إباحيات وما فى الروايات الساقطة اليونانية من

سوءات وفتح باب الترجمة على مصراعيه على يد عدد من المترجمين الذين قدموا من الشام فترجموا أكثر من ألف قصة فرنسية من القصص الداعر ومن أردأ أنواع القصص المكشوف وكان لها آثارها البعيدة فى إفساد القارئين والقارئات [وقد طبعوها طباعة رخيصة ونشرت فى صحف هابطة كذلك ترجم إلى اللغة العربية كل ما ضجت أوربا من فساده وسوءاته ، ترجمت قصص أوسكار وايلد و بودلير وعشرات غيرها من قاذورات القصص الغربى وفى مجال الفلسفة ترجمت الفلسفات المادية وكتابات الإباحيين والوجوديين والسرياليين وفنون العبث واللاقصة ومختلف الفنون المتضاربة التى تمثل عصورا مختلفة وقدمت لنا على أنها من روائع الأدب العالمى

وكم أفسدت من أسر وفتيات (**وهناك وقائع ثابتة فى سجلات محاضر البوليس والنيابة**) وكما ترجمت مئات من قصص الجنس ترجمت مئات من قصص الجريمة وكان أخطر ما ترمى إليه هذه الموجة العاصفة هى التصور الذى خلفته فى نفوس بعض الشباب ، أنه ما دام قد سمح لهذا الإثم أن ينتشر فلا بد أنه مشروع وأمر طبيعى ويمكن اقترافه ومن هنا سقط كثير من الشباب على مدى السنوات

المتوالية فى هذا الإثم ، وقد ظنوا أن هذه الفاحشة مشاعة ومقبولة ، ثم جاء كتاب القصص الجنسى والإباحى فنسجوا على منوالها ثم تحولت إلى روايات فى المسرح وقصص فى السينما وانتقلت إلى الملايين فى البلاد العربية وترجمت فلسفات فرويد و ماركس وسارتر ودوركايم وأوجست كونت وكل ملاحدة الغرب ، أبعد هذا كله انفتاح نطالب به فى الترجمة من الغرب ؟ وإذا كان هؤلاء الكتاب لاينقلون من الغرب إلا مثل هذه المفاسد ، فماذا نفعل ؟ هل نقبل أن يستمر هذا وأن تتجدد الدعوة إليه ؟ لعل طلاب الإنفتاح لا يكفيهم هذا ويطالبون بترجمة سموم الدعوات الماركسية والفوضوية والوجودية وقد ترجمت جميعا .

الحقيقة أننا يجب أن نعى تجربتين للإنفتاح :

١ — تجربة المسلمين مع الفكر البشرى وقد كانت ترجمة واعية ، قدمت مع كل فكر أخطاءه وصحائحه وقبلت منه الصحائح ورفضت الخطأ وما قبلته ، وحولت الصحيح إلى كيانها كمادة خام ولم تجعله حائلا دون استقلال ذاتيتها .

٢ — تجربة الغرب من بعد مع الفكر الإسلامى وقد ترجم الغربيون من الفكر الإسلامى ما أرادوا ولكنهم لم يقبلوا عقيدة المسلمين ولا أسلوبهم الوجدانى والروحى وكل

ما يتعلق بأسلوب عيشهم وحافظوا على ذاتيتهم الغربية التى كونتها الثقافات اليونانية والرومانية والمسيحية .

فماذا نحن فاعلون اليوم إزاء الانفتاح ؟

إن هناك دعوة ملحة إلى تعلم اللغات الأجنبية ، باسم التقدم ولكن لو درسنا هدف الغرب من تعليم لغته كما يقول المبشرون والمستشرقون ، لعرفنا أن الهدف هو تحول المسلمين الذين يتعلمون اللغات الأجنبية إلى أولياء للثقافات الغربية وأتباع للغرب وأعداء لأمتهم وعقيدتهم ، ولذا فإن هناك محاذير ضخمة إزاء تعلم اللغات بحيث نكون قادرين على فهمها والتحفظ دونها ، علينا أن نتعلم اللغات لتكون فى خدمة الإسلام والعربية الفصحى ، وأن تمكننا من أن نعرف فكر الأمم لنستفيد منه أو نعلن موقف الإسلام من القضايا العالمية التى يعالجها الفكر البشرى . وأن الإسلام قادر على أن يقدم إجابات سليمة وحلول إيجابية لكل القضايا المثارة فى العالم اليوم : كقضايا الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية .

إن الدعوة إلى الإنفتاح غير المقيد أو غير المنضبط أو غير القائم على الضرورة وعلى النافع هى مخاطرة شديدة الأثر فى تمييع القيم الأساسية للأمة الإسلامية ومؤثر خطير

على الذاتية الإسلامية التى يجب أن نحميها من الاحتواء والانصهار والذوبان فى الأممية والحضارة العالمية . لابد أن تقوم على المترجمات حراسة قوية فيكشف عن أخطائها وأهدافها وغايات أربابها فى نفس مجلداتها المقدمة للمسلمين حتى يعرفوا أنهم يقرأون غير فكرهم وعقيدتهم وفكر أمتهم ودينهم .

نعم إن لنا عناصرنا الثابتة فى شخصيتنا ، ولكن مارأيت داعيا إلى الانفتاح قد اتقى الله فى قومه فتحفظ فى ذلك حماية للقوائم الأساسية والثوابت الأصيلة ، كل الدعاة يتحدثون بإطلاق ، وهذه مسئولية خطيرة يحاسبون عنها يوم لقاء الله .

نحن لانهاجم فكر الغرب ولكنا ننظر إليه فى ضوء فكرنا فإذا وجدناه معارضا له تركناه ، نحن لا نرفض إلا الفكر الوثنى والمادى ، وإلا فهل يراد منا أن نقبله .

وإذا كانت هناك محاولة خطيرة ومؤامرة شرسة ، لم تتوقف منذ أكثر من خمسين عاما لاحتوائنا داخل دائرة الفكر الغربى والقضاء على ذاتيتنا ، أليس من حقنا أن نهاجم هذه المؤامرة وأن نرفضها أم أن نذل لها ، وكيف يذل المسلم وعنده أعظم المناهج وأكمل الأيدلوجيات وهو الذى لا يحتاج إلى مناهج انشطارية ولايقبل التبعية وقد علمه دينه

أن يحافظ على عقيدته ومفهومه الأخلاقى والتزامه الفردى ، وهو يرى الوجودية الفرويدية والداروينية والماركسية كلها تحاول أن تلتهمه وتصهره .

أما القول بالهجوم على العقل والعلم فنحن المسلمون نفهم قيمة العلم ومسئولية العقل ومدى أهميته ولكننا لا نقدسه ولا نسلم إليه وجودنا بل نخضعه للوحى والإيمان ، أما العلم التجريبى فنحن نقر له بما يقرره فى المعامل ، ولكننا نفرق بين العلم التجريبى والفلسفة المادية ، فليست هذه الفلسفة علما ولكنها نظريات بشرية تخطىء وتصيب وهى فى أكثرها من أهواء الفلاسفة وظنونهم ومحاولتهم هدم البشرية وتحويلها إلى قطيع كما تحاول الماسونيه والتلمودية .

وهى حين تتحدث عن الإنسان تخضعه لمفاهيم الحيوان والمادة . وتنسى أن الإنسانيات متصلة بالروح والمعنويات ولا تستطيع قوانين المادة أن تحكم عليها ، إن تجربة العلوم الإنسانية التى قامت عليها المدرسة الاجتماعية الفرنسية باطلة وزائفة وخاضعة للتلمود وهى ما يتشدق البعض بوصفها بالعلم ، لا أيها السادة ، إن العلم فى المعامل ، أما الفلسفة فليست علما لأنها قاصرة على النظرية المادية ، وفيها أهواء الوثنية والتحلل ، وهى تنبع من منظور غربى خالص هو « **الخطيئة الفردية** » وهذه ليست فى الإسلام أبداً .

إن الفلسفة شيء غير العلم، والعقل ليس له قداسة ، ونحن لا نخضع أبداً لمفهوم الفلسفة أو الاعتزال أو العقلانية المدعاة ، بل نحن نخضع للإسلام مفهوما جامعا أصيلا ربانيا يستمد من الوحي ويجمع بين العقل والنقل ، لا يستعلي فيه العقل ولا الوجدان ، وليس هذا تقليدا ولا جمودا ولا رجعية وإنما هي الأصالة والعودة إلى المنابع ومنطلق الإسلام الحقيقي في (**مطالع القرن الخامس عشر الهجري**) .

* * *

إن بعض كتابنا يجري وراء بريق أطر غربية وعلمانية خادعة وهم يحاولون أن يضعوا الفكر الإسلامي فيها وعبثاً يحاولون فإن للإسلام أطره ومناهجه الخاصة ، وهو قادر من خلالها على مواجهة العزو الفكري الوافد ، وليس من خارجها ولن تكون الفلسفة المدعاة أسلوبا صالحا لمواجهة الغزو الفكري لأنها منه ، ولكن الإسلام له منهجه الخاص في مواجهة القضايا ، وليس من بين هذه الأساليب ، محاولات « **التطوير** » أو التجديد، فإن الإسلام ليس منهجا بشريا يتطور ، ولكنه منهج رباني واسع الآفاق له ثوابته القائمة المحكمة وله جوانبه المتغيرة وفق الظروف والأحداث ، وللإسلام منطقه القرآني وأسلوبه القرآني الخاص الجامع بين

الروح والمادة والعقل والقلب ، المختلف تماما عن أسلوب الفلسفات المادية القائمة على مناهج انشطارية .

ولابد أن نقدم هنا مجموعة حقائق أساسية :

أولا : إن الفكر الإسلامى لا يمكن أن يسمى بالثقافة الدينية إلا عند العلمانيين المنكرين لرسالات السماء .

ثانيا : إن الإسلام لم يمتزج مطلقا بالفلسفات الوثنية اليونانية والفارسية والهندية بل إنه بالعكس قد كشف عن ذاتيته الخاصة . وبالنسبة للغرب فإن الأخذ بالعلم غير الأخذ بالحضارة وإن الأخذ بالعلم لا يتطلب منا قبول الفلسة المادية وحضارة الغرب وإنما نحن نطلب الوسائل والأدوات ونرفض المضامين .

ثالثا : إن ابن سينا والفارابى لا يمثلون شيئا أساسيا فى الفكر الإسلامى (**إلا فى مجال الطب والعلوم**) أما فى مجال الفلسفة فقد رفضهم الفكر الإسلامى واعتبرهم من مدرسة المشائين اليونان وكانت تجربتهم فاشلة . إنهم يحاولون رد اعتبار الفارابى وابن سينا ، بعد أن كشفت الوثائق انتماءهم إلى الحركة الباطنية القرميطية والعمل لهدم الدولة الإسلامية .

رابعا : إن الإسلام أعلن موقفه من المعتزلة بأنهم خرجوا عن حدود مفهوم الإسلام ولكن دعاة التقريب

يكرمونهم لأنهم تلاميذ المدرسة اليونانية وهم الذين قالوا : (**يجب على الله**) جل الله عما يقولون، وهم الذين قالوا بخلق القرآن وفرضوه على المسلمين ثمانية عشر عاما حتى أسقطهم الله على يد أحمد بن حنبل .

خامسا : إن ابن عربى لا يمثل الفكر الإسلامى لأنه لا يؤمن بمفهوم الإسلام ويشرك به مفهوم وحدة الوجود والحلول .

سادسا : إن حركة الترجمة لم تكن مستقيمة مع مفهوم الإسلام بل قامت على بعض أساليب الغش فإن النساطرة الذين قاموا بها اخضعوها لخدمة مفاهيم مذهبهم المسيحى وبذلك لم تقم على أساس صحيح .

سابعا : رفض المسلمون ارجانون اليونان ومنطق أرسطو وعرفوا الفكر اليونانى باسمه الحقيقى (**علم الأصنام عند اليونان**) نكشف هذا لأخواننا الذين يقرأون أكاذيب العلمانيين حتى لا يخدعوا .

الفصل الثالث

المسلمون يرفضون التبعية للفكر الغربي الوافد

ويصرون على حماية ذاتيتهم الخاصة من الانصهار في بوتقة العلمانية أو الماركسية

إن هناك محاولة (وهي في نفس الوقت مؤامرة) ضمن المخطط الذي ترسمه دوائر النفوذ الأجنبي لاحتواء الأمة الإسلامية وفرض الوصاية عليها وتأخير امتلاكها لإرادتها وإقامة مجتمعها وتطبيق شريعتها : هذه المحاولة تقوم اليوم على مخططات متعددة في مجالات مختلفة لمواجهة هذه الصحف الإسلامية وتعويقها وعدم تبليغها غايتها أو تمكينها من متابعة خطوها في عدد من الميادين :

أولا : في ميادين الدعوات وذلك بإثارة الدعوات القديمة كالبهائية والقاديانية ومدعي النبوة الجدد .

ثانيا : في ميادين الأيدلوجيات والمذاهب بإثارة وجهات نظر الماركسية والليبرالية وحجب وجهة نظر الإسلام .

ثالثا : في مجال المؤتمرات التي تجمع الشعوبيين والماركسيين والقوميين وكل أعداء الفكرة الإسلامية لنفث سمومهم .

رابعا : في مجال البعثات المسافرة من البلاد الإسلامية

إلى الغرب حيث تحتضنهم قيادات ثقافية مناوئة للإسلام تفرض عليهم مراجعها وموضوعاتها .

خامسا : إحياء الفكر الوثنى القديم وإحياء القرامطة والزنج والباطنية على أنها دعوات حرية وعدل إجتماعى .

سادسا : دعوات إلى الحوار بين الإسلام والمسيحية تحت مظلة التبشير العالمى الذى يخطط لتنصير العالم الإسلامى .

وحين تعقد هذه المؤتمرات تفرض الموضوعات التى يراد طرحها وترديدها .

ففى الكويت منذ عشر سنوات عقد مؤتمر من هذه المؤتمرات تحت عنوان (**التخلف الحضارى**) وجرت الدعوة إلى طرح العلمانية كمذهب للدولة العصرية يفرض على المسلمين أن يتحرروا من ماضيهم وتاريخهم كله ، ومن قبل ذلك عقد مؤتمر التاريخ الذى يرمى المسلمين بأنهم أسارى تاريخهم وبطولاتهم القديمة كأنه من المحرم على المسلمين فى مقابلة التحديات التى تواجههم اليوم أن يبتعثوا تاريخهم وأن يملأوا قلوب أبنائهم ثقة وإيمانا بصدق منهجهم ، وعظمة مواقعهم فى رد العدوان ودحض المعتدين وضرورة العودة إلى منهجهم الأصيل وتأتى جمعية الإسلام والغرب فتعقد مؤتمراتها التى تدعو فيها المسلمين إلى حجب صفحات الخلاف بينهم وبين الغرب (**أى إلغاء الحروب**

الصليبية والاحتلال الغربي للعالم الإسلامى واحتلال الصهيونية لفلسطين) ومن المحبب إلى الداعين إلى هذه المؤتمرات أن يسمعوا أبحاث أتباعهم الذين يعتمدون مفاهيمهم ومراجعهم والذين ينقلون أحقاد النفوذ الأجنبي الكاره لصحوة الإسلام إلى المسلمين والعرب فى مؤتمرات تحشد لها أسماء معروفة بولائها لكل مذاهب البشرية المعاصرة وبعدائها للإسلام سواء أكانت قومية أو ماركسية أم ليبرالية ولا يسمعون وجهة نظر الاتجاه الإسلامى التى يجب أن تلفها مؤامرة الصمت .

ونحن نقول لشبابنا المسلم الذى يستمع إلى هذه الندوات أو يقرأ عنها : إنها محاولات لخلق روح اليأس فى نفوس المسلمين من نهضتهم الصاعدة القائمة على أساس كريم ومشروع ، إنطلاقا من الوجهة الجامعة الحقيقية التى لا يختلف فيها أحد من المؤمنين بحق هذه الأمة الإسلامية فى امتلاك إرادتها وإقامة مجتمعها على أصوله الأصيلة التى حجبها النفوذ الاستعمارى خلال مائة عام حين حجب النظام الإسلامى وأقام قانون نابليون ، والتى عاشت الأمة هذه المرحلة وهى تعمل حثيثا على استعادة إرادتها وحماية شخصيتها والحيلولة دون الانصهار فى بوتقة أمة أخرى ولم تتوقف يوما عن السعى لهذه الغاية ولن تيأس هذه الأمة أبداً لأنها

تثق بأن منهجها الذى تدعوا إليه هو أصدق المناهج وأن الله ناصره مهما طال الزمن .

إن هذه المحاولات كلها ترمى إلى إرغام الأمة الإسلامية على أمرين :

الأول : إلى تقبل أسلوب الغرب كاملا بأن يأخذ المسلمون الحضارة مع فكرها وأن يتجاهلوا منهجهم الوقائى الأصيل وأن يتحرروا من تاريخهم وتراثهم وهذه المحاولة قد ثبت بطلانها ، وآية فشلها تجربة تركيا ، وأمامنا تجربة الغرب نفسه حين أخذ حضارة الإسلام فى فجر نهضته فإنه أخذ علومهم ولم يأخذ عقيدتهم وأسلوب عيشهم فكيف يطلب إلينا اليوم أن نأخذ حضارة مع فكرها ونحن أصحاب منهج ربانى عشنا فى ظله أربعة عشر قرنا ولا ينقصنا إلا العلوم التجريبية التى كنا أصحاب منهجها فى أول الأمر وقد بنيت قواعدها من خلال قرآننا وفى جامعتنا .

الثانى : أن نظل تابعين للغرب تبعية كاملة ، وأن نلتحق به دون أن نتمكن من إعادة بناء حضارتنا الإسلامية بمضامينها الأساسية من العدل والرحمة والإخاء البشرى ، وأن نبقى فى دائرة الحصار يمتلك الغرب مقدراتنا ويستنزف ثرواتنا ويسيطر على إقتصادنا ومواردنا . فالمهمة التى

تختفى وراء هذه الظواهر كلها هى تأخير هذه الصحوة من أن تصل إلى غايتها ، وهذا الهدف واضح الآن للعيان ، وهذا المخطط يرمى إلى إجهاضها أو تذويبها أو تحويلها من وجهتها أو أحتوائها حيث يجمع لها تلك الأسماء المختلفة الهويات من أجل الوقوف فى وجه هذا التيار الأصيل ودفع المسلمين إلى التفرق حول السبل التى أوصاهم القرآن بأن يتحاموها .

« **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » وأنها محاولة لفرض المفهوم العلمانى الذى يتجاهل الوحى والنبوة والروح والأخلاق لتفريغ حضارتنا ومجتمعنا من القيم الأساسية وليعلم القائمون على هذه المخططات أننا دخلنا مرحلة الرشد الفكرى وتكشفت لنا خبايا الكلمات البراقة المسمومة ، فقد شكل الفكر الإسلامى (**مدرسة النظر وراء النصوص**) وأصبح واثقا من أن هناك أهدافا مبيتة وراء الدعوات المثارة عن طريق الاستشراق والتبشير والتغريب.

ونحن نرفض التبعية ونأخذ من الحضارة العالمية ماينفعنا نأخذه بشروطنا وما نأخذه هو بمثابة مادة خام نشكلها فى دائرة فكرنا وحضارتنا فقد نأخذ تنظيمات وأساليب ولكن لا نأخذ نظما ، ونضع دائما فى تقديرنا أن « **الحفاظ على ذاتيتنا** »

لا يجوز أن يمس أو أن يجرى انتقاصه . نحن نضع الإسلام « **القرآن والسنة** » فوق التراث فهو وحى الله تبارك وتعالى وليس من صنع البشر . أما التراث الذى هو الفكر الإسلامى واللغة العربية والفقه الإسلامى والعلوم الإسلامية وكل معطيات العقل الإسلامى فنحن نتعامل معه على أنه ضوء كاشف للقرآن والسنة ، ونحن نعرف أن فيه الإيجابيات والسلبيات فنأخذ منه ما يناسب أوضاعنا ونهتدى به على طريق تطبيق شريعة الله فى المجتمع الإسلامى ومن هنا فلا يكون التاريخ أو التراث معوقاً لنا أو مسيطراً علينا كما يدعون ، وليس صحيحا أن الصحوة الإسلامية اليوم تدعو إلى فرض هذا التراث على المجتمعات ، وليس هناك ذلك التقسيم الذى أولع به التغربيون حين يصفون دعاة الإسلام بأنهم يحملون تيار الجمود ، أو التيار السلفى ، أو تيار التعصب ، كما أنه لا يمكن أن يوصف التراث الإسلامى بأنه التراث الدينى ، وعلى الباحثين فى الفكر الإسلامى أن يكونوا أكثر إنصافا حتى ينظر إلى كتاباتهم ، ويجب عليهم أن يفرقوا بين كلمة (**دين**) وبين كلمة (**إسلام**) فكلمة دين التى يرددونها هى كلمة غربية بمعنى اللاهوت أو العلاقة بين الإنسان والله وليس كذلك الإسلام الذى يجمع بين العلاقتين : علاقة الإنسان بالله تعالى وعلاقة الإنسان بالمجتمع ، فلو أدرك الباحثون هذه

الحقيقة لتيسر لهم فهم الإسلام كمنهج حياة ونظام ومجتمع ، رباني المصدر ، جاء عن طريق الوحي إلى الرسول ﷺ ، هذا المفهوم لو قبلوه فإنه يمكن أن يكون مدخلا لفهم واسع الأفق يختلف تماما عن فهم الفكر الغربي والتراث الغربي المرتبط بالفكر اليوناني والقانون الروماني والمسيحية الغربية ، ونحن نعرف أن المجتمع الغربي قد صنع له أيدلوجيات لأن المسيحية الغربية التي انفصلت عن اليهودية حيث لم يكن لها منهج حياة وإنما كانت مجموعة وصايا ومن ثم فقد كان عليها إنشاء هذا المنهج الذي يعتوره النقص نتيجة المتغيرات . فيكون هناك موقف التطور والتطوير وهذا لاينطبق على الإسلام بحال . أما تراث ماقبل الإسلام فقد امتص منه الفكر الإسلامي إيجابياته كلها وانتفع بها وصارت هذه الإيجابيات من مضامين الفكر الإسلامي الذي هو ملك لأهل العالم الإسلامي على اختلاف أديانهم ونحلهم .

والتراث الإسلامي الذي هو الجهد العقلي البشري لتفسير وتطبيق القرآن والسنة يتضمن نتاجا وافرا في مجال العلوم التجريبية وفي مجال الفقه وفي مجال اللغة ، وهو ماانتفعت به الحضارة الغربية من حيث ظهور عشرات النظريات في العلوم التجريبية والقانونية وعلوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتربية مما لا ينكره أهل الغرب المنصفون (**أخذا من الفكر الإسلامي**) .

إذن فهذا التراث الإسلامى كان إيجابيا وافر العطاء وهو مازال قادرا على إضاءة الطريق أمام الحضارات فى العصر الحديث .

ولكن لننظر كيف واجه الاستشراق والتبشير هذا التراث الإسلامى ، وكيف جرت المؤامرة عليه على أيدى المستشرقين لهدم الثقة بالنفس الإسلامية ، وإشاعة اليأس بين أيدى شبابنا المثقف حيث جرى عن طريق الاستشراق وأتباعه التغريبيين العمل على :

أولا : إحياء الفكر الباطنى والجبرى الصوفى والمعتزلى .

ثانيا : إعادة كتابة التاريخ الإسلامى بأقلام مسمومة .

ثالثا : تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً ماديا و إقتصاديا .

رابعا : حجب التراث الإسلامى الأصيل ومنع المسلمين من الوصول إليه .

خامسا : فرض التفسيرات الاستشراقية للفكر الإسلامى على طلاب البعوث إلى الجامعات الغربية .

سادسا : فرض مناهج علمانية دراسية فى مدارس الإرساليات وانتقالها إلى وزارات المعارف والتعليم (**وقصة دنلوب معروفة**) .

سابعا : مهاجمة الشخصيات البارزة ذات الأصالة : الغزالى وابن تيمية وابن خلدون والمتنبى وغيرهم .

ثامنا : جمع تراث الباطنيين والماجنين والفاسدين وإحيائه من جديد (**أبو نواس وبشار والحلاج وإخوان الصفا**) .

تاسعا : إعادة إحياء الفرق الضالة كالمجوسية والقرامطة والزنج وغيرها .

عاشرا : إدخال عنصر الأساطير إلى السيرة النبوية (**على هامش السيرة**) .

هذا هو أحد جناحى الخطة الماكرة :

إفساد تراثنا بين أيدى أبنائنا أما الجناح الآخر فهو فرض منهج الغرب على المسلمين .

أولا : فرض الليبرالية الغربية ، ثم القومية العربية ثم الماركسية على البلاد الإسلامية فى مراحل مختلفة وأقطار مختلفة .

ثانيا: حجب منهج الشورى الإسلامية والعدل الاجتماعى الإسلامى وإلغاء قوانين الاقتصاد وفرض الاقتصاد الربوى وإلغاء مناهج التربية الإسلامية وفرض مناهج التعليم العلمانى وفرض العلمانية والإقليمية وإحياء دعوات ما قبل الإسلام كالفرعونية والفينيقية والأشورية والبابلية .

وقد تأكد للمسلمين بعد تجربة المذهبين الليبرالى والماركسى فسادهما فى مختلف جوانبهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعجزهما عن إعطاء المجتمع الإسلامى أشواقه ومطامحه بل إن فشلهما قد امتد إلى مجتمعاتهم نفسها .

ووصف الفكر الإسلامى بالفكر العربى خطأ ، ووصف الحضارة الإسلامية بالحضارة العربية خطأ ، ووصفه بأنه تراث خطأ أيضا ، ووصفه بأنه سلفية خطأ مبين .

ونحن نتساءل إذا كانت المعاصرة الأوروبية قد بنيت على التراث اليونانى والرومانى والمسيحى أليس من حق العالم الإسلامى أن يبنى معاصرته على الإسلام الذى أقام المجتمع الإسلامى منذ أربعة عشر قرنا وقطع العلائق مع ما قبل الإسلام على نحو وصفه المؤرخون بالانقطاع الحضارى حيث لايوجد من عناصر الفرعونية وغيرها أى تراث باق سواء فى اللغة أو العادات أو فى القيم ؟

والمسلمون اليوم لا يطالبون بالعودة إلى التراث وإنما يطالبون بالعودة إلى المنهج الإسلامى الربانى الذى أفرز التراث ويبقى التراث ضوءاً كاشفا وهاديا للطريق ، وتبقى الجوانب المتصلة منه بالقرآن والسنة ولها مكانها وخاصة اللغة العربية التى يراد إفساد بيانها وضربها فى بلاغتها لإيجاد عازل بينهما

وبين بلاغة القرآن، ونحن نعرف أنهم يعجزون عن مواجهة القرآن الكريم مواجهة صريحة ولذلك فهم يوجهون سهامهم إلى التاريخ والتراث واللغة .

لا يطالب المسلمون بالعودة إلى التراث وإنما يدعون إلى المنهج الإسلامى الذى هو بشهادة عظماء الفكر الغربى أنفسهم اليوم: منهج إنسانى الطابع عالمى الوجهة ربانى المصدر واسع الأطر قادر على الانفتاح على معطيات الأمم ومتغيرات المجتمعات .

وليس الآن فى مجال الصحوة الإسلامية مذهبان أو تياران كما يدعون ، ليس هناك تيار جامد وتيار مفرط ، لقد انغلق باب الثقة بالتجربتين الغربيتين ولم يعد أمام المسلمين إلا منطلق واحد هو طريق الأصالة الإسلامية الجامعة المرنة المتفتحة على الحضارات والأمم دون تفريط فى الثوابت الإسلامية الأساسية ، كذلك فإن أصحاب الاتجاه الإسلامى لا يمكن أن يسموا : تراثيين ولا سلفيين .

الفصل الرابع

مؤامرة جديدة يتكشف زيفها

ليس الإسلام تراثا ولا مأثورات ولا فلكلورا

بل هو المنهج الربانى الخالد المتجدد على الزمن

هى مؤامرة جديدة تحاول أن تشق طريقها عن طريق مؤتمرات علمية تعقد على مستوى البلاد العربية ويحشد لها كتاب من ذوى الأسماء اللامعة ، من كل المذاهب والنحل والفلسفات — ما عدا أهل الأصالة أو المفكرين الإسلاميين المتجردين لكلمة الحق ، أو دعاة الإسلام ، وذلك فى سبيل إقرار مقولة باطلة وإذاعتها وترديدها على مختلف الأقلام وفى مختلف الصحف ، وفى الندوات والمحاضرات ، هذه المقولة الباطلة هى [التراث وتحديات العصر] مقصود بها وضع الإسلام والقرآن فى مواجهة تحديات العصر .

فكلمة (**التراث**) هنا كلمة مضللة يتخفى وراءها خصوم الإسلام من أجل أن يصوروا الإسلام على أنه (**تراث**) ومن قبل وصفوه بأنه قديم ورجعى وجامد ومتخلف وهى كلمات ظلت تتردد على ألسنة العلمانيين

والشعوبيين سنوات وسنوات ، كلمات تحمل طابع الهروب من المواجهة ، و ماذا عليهم لو قالوا : (**الفكر الإسلامى فى مواجهة تحديات العصر**) إنهم يحاولون أن يخدعوا الناس عن حقيقة الإسلام، فما كان الإسلام (تراثا) بمفهوم الغرب للأديان وللكتب المقدسة ، وهناك فارق كبير وعميق بين التراث وبين الإسلام ، أو بين التراث وبين القرآن والسنة ، وما يستطيع أحد الباحثين الأصلاء المنصفين — حتى من كتاب الغرب أنفسهم — أن يصور الإسلام أو القرآن على أنه تراث ، فهذه مقولة باطلة وكلمة زائفة يراد بها التخفى وراءها لهدم المنهج الربانى الأصيل الجامع المتجدد على الزمن الباقى الذى لن يختلف والقادر على العطاء دوما ، والذى لاتستطيع أن تسابقه الحضارات أو تتقدم عليه المتغيرات أو تحجبه التحولات مهما عظمت ومهما اتسعت ومهما امتدت ، ذلك لأنه المنهج الوحيد الباقى اليوم من عطاء الله تبارك وتعالى والذى مازال غضا طريا متجددا حيا لايمكن أن يوصف بأنه تراث (وكلمة تراث فى قاموس التغريبيين والعلمانيين تعنى القديم البالى الذى سبقه العصر وتجاوزته الحضارات ، وهو عندهم مثل تراث اليونان وتراث الرومان وتراث فارس وتراث بابل وتراث الفراعنة : إنه ذلك الفكر البشرى الذى صنعته عقول تخطئ وتصيب ، صنعته

فى ظل ظروف مجتمعاتها وتحديات عصورها ، فكان استجابة لهذا القدر المحدود من الزمن ومن الجغرافيا، وهو الذى تجاوزته بعد ذلك المتغيرات واقتحمته الظروف والأوضاع فى تطورها ، وتقلبها ، وليس كذلك (**الإسلام**) وليس كذلك (**القرآن**) ولن يكون ، فالإسلام هو دين الإنسانية الخالد الباقى على الزمان والقرآن هو كتاب الإنسانية الخاتم ، وكلاهما لا يمكن وصفهما بأنهما تراث مهما تجاوز المتجاوزون عن تعريف المصطلح .

إن الدعوة إلى تصصحيح المفاهيم الفكرية والثقافية المسيطرة الآن فى أفق الفكر الإسلامى فى العالم الإسلامى والتى تبثها الثقافتين اللبرالية والماركسية والتى تحمل عشرات من المسلمات الباطلة والزائفة والانشطارية والتى تختلف تماما عن مفهوم الإسلام ، الجامع المتكامل ، هذه الدعوة ليست دعوة إلى إحياء (**تراث**) وإنما عودة الأصالة بعودة المنهج الذى قامت عليه الأمة منذ أربعة عشر قرنا والذى صنع كيانها ووجودها ورسم أشواقها ومطامحها ، وأرسى لها كل معانى الكون والحياة والمجتمع والحضارة ووضع لها المقاييس والمقررات التى تدفع مجتمعها إلى الازدهار ، وهذه القيم الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يمكن أن توصف بالجمود ولا بالرجعية ولا بالتخلف لأنها تقوم أساسا على العلم والعقل والفطرة

وتتجاوب تماما مع العقل والسعى والبناء والتشييد ، وترسم خطا لنماء الحضارة وتقدمها فليست الدعوة إلى العودة إلى المنابع دعوة رجعية أو جامدة ، ولكنها دعوة إلى الأصالة من وجهة نظر المسلمين الذين لن يقبلوا أن يساقوا كالقطيع وراء حضارة تمزقت ومدنية منهارة ، ومفاهيم متحللة وإباحية خالية تماما من البعد الربانى للعقائد والقيم والحضارة والمجتمعات بشهادة أهل هذه الحضارة أنفسهم ، وليعلم دعاة تصوير الإسلام على أنه (**تراث**) يجب التحرر منه أو انتقاء مايتفق مع الأهواء منه، أن دعوتهم باطلة ولا يقبلها أحد ، ذلك أن المسلمين قد حددوا موقفهم تماما منذ أول عصر اليقظة بأنهم لن يضحوا بذاتيتهم ووجودهم وكيانهم الخاص فى سبيل الانصهار فى بوتقة الحضارة العالمية أو الأممية مهما جرت المحاولات لاغرائهم أو خداعهم ، وهم الذين علمهم رسولهم ﷺ وعلمهم قرآنهم وأكد لهم دينهم : أن المحافظة على ذاتيتهم الخاصة أغلى من كل شىء، ولقد عاشوا حياتهم كلها خلال أربعة عشر قرنا يدفعون عن أنفسهم الاحتواء والانصهار فى بوتقة الحضارات والأمم ، ذلك لأن لهم وجوداً خاصا منفردا يرفع راية القرآن و(**لا إله إلا الله**) على مدى الأزمان والعصور، وأنهم دعاة لله تبارك وتعالى ومبشرين بكلمته ومبلغين لها للعالمين ،

ومن ثم فهم حفظة على هذا الميراث الغالى العزيز الذى لايمكن أن يوصف يوما بأنه (**تراث**) بمفهوم العصر ، ولقد ترددت كلمة (التراث) منذ وقت بعيد على الألسنة كما تردد كلمة (**المأثورات**) فى مواجهة القرآن والسنة من غير كاتب ، واليوم نجد عديدا من الكتاب يحاولون أن يطرحوا مفهوما زائفا مسموما للتراث بدعوى أن فى التراث الجيد والردىء وما يصلح ومالا يصلح وكل هذا الكلام له خبىء ، وعبارات تبدو عليها البراءة ولكنها تخفى من ورائها أحقادا وأحقاداً .

ونحن نعرف حقيقة هذا تماما ، نعرف أن الصحوة الإسلامية التى تمتد اليوم وتنمو وتعمق ، تحارب بعنف من القوى الثلاث المخاصمة للإسلام وهى الغربية والماركسية والصهيونية وأنها فى كل يوم تبتكر سلاحا جديدا ومؤامرة جديدة .

إن مسألة المأثورات والتراث والفلكلور هى مسألة بعيدة تماما عن الإسلام والقرآن والسنة وإذا كانت هذه القوى تعقد المؤتمرات لما يسمونه التراث الشعبى أو الفلكلور فإننا نعرف :

أن هذه أيضا مؤامرة تريد أن تهدم البلاغة العربية

المتمثلة فى الشعر العربى وأقوال البلغاء والحكماء وثروة ضخمة من البيان العربى الذى استقاه أصحابه من القرآن الكريم والسنة النبوية ، إن هؤلاء يبحثون عن الأزجال والمواويل ، والخرافات ، والأساطير ، والكلمات الدارجة والأمثلة الساذجة ويعقدون لها مؤتمرا يحضره المستشرقون والمبشرون والشعوبيون ليجددوا هذه التفاهات التى لفظتها الأمم فى مراحل الضعف والجهل،ليعلوا شأنها بينما يتنكرون للبلاغة الحقيقية ويشيحون بوجههم عنها .

إن البعض يحاول أن يصور « الشورى » التى جاء بها القرآن الكريم والسنة على أنها (**تراث**) ، ولا شك أن فى ذلك تبسيطا للأمور يتجاوز الأصول الأصلية للعلم والفقه والشريعة ، فكيف يقال هذافى أمر هو من دعامات النظام الإسلامى؟ وكيف توصف الشورى بأنها (**تراث**)قديم؟وهل من الأمانة العلمية أن تعرض مسألة الشورى على الناس فى الصحف السيارة على هذا النحو مجردة عن وضعها الأصيل فى إطار العقيدة الإسلامية الجامعة ؟ .

وهل على هذا النمط يريد خصوم الإسلام أن يواجهوا

الأمور وأن يصوروا مختلف مصطلحات الشريعة الإسلامية على هذا النحو حين يصفها أحدهم بأنها (. . . **محفوظات لغوية**) .

وهل يمكن أن يوصف الإسلام بأنه (**مما يلغى عقولنا فى أغطية من محفوظات وكلمات وعبارات تركها السلف؟**) .

وهل من الحق أننا حين نتحدث عن عقيدة الإسلام ومعاملاته وأخلاقه نكون قد انفصلنا عن (**عالم الأشياء ؟**) ليعلم إخواننا الذين يعلون من كل التيارات الفكرية فى العالم العربى ويحجبون الإسلام وحده ، أن الإسلام هو أساس أى مشروع قومى حضارى يمكن أن ينجح أو يستمر أو يبنى عليه مستقبل هذه الأمة وأن أى مشروع يحجب الإسلام أو يتجاهله هو مشروع فاشل ولقيط لن يكتب له النجاح ، وأمامنا التجارب الثلاث التى جرى فرضها على المجتمع الإسلامى المعاصر خلال القرن الماضى (**الليبرالية — القومية — الماركسية**) .

وقد كشفت التجربة عن أن الأرض لا تنبت هذا الزرع وأن الجسد يرفض العنصر الغريب ، وأمامنا هذا الركام من سموم الاستشراق وقد سقطت جميعها ولم يعد أحد يثق بأهلها وعلى الذين يحاولون من جديد إحياء

هذه الدعوات أن ييأسوا ، فإن هذه الأمة لن تقبل إلا ما يصدر عن منابعها الأصلية ومن قيمها الربانية ، إن لدى المسلمين مناهجهم وأسلوب عيشهم الذى لن يصلح مجتمعهم إلا بتطبيقه ، وهو منهج متقبل لخير ما فى الحضارات وهو جامع النظرة لا يقتصر على جانب واحد ، فهو يجمع بين خير ما فى المذاهب المعاصرة كلها ويسبقها جميعا ، ويتميز عنها بالأصالة الربانية والإنسانية .

وإننا نتساءل : كيف يمتلك المسلمون منهجا جامعا ، ثم يتنازلون عنه ليقبلوا منهجا جزئيا ؟ سواء أكان رأسماليا أم اشتراكيا أم وجوديا وهم يسمون هذا الفكر الإسلامى الجامع القائم مدى أربعة عشر قرنا والذى أعطى البشرية الحضارة والمنهج التجريبى العلمى ومنهج المعرفة ذى الجناحين وبنى أمة موحدة من حدود الصين إلى نهر اللواء (**بالسلفية**) وكلمة السلفية هنا كلمة حيث أنها من أشرف الكلمات يراد بها الإهانة ومعنى السلفية أى المقصورة على القديم ، المتجمدة فى الماضى ، وهذا ليس صحيحا بالنسبة للسلفية الإسلامية ولا بالنسبة لحملة الدعوة الإسلامية بحال ، فما كان السلفيون فى حقيقتهم إلا المرتبطين بالجذور والمنابع : والجذور والمنابع هنا هى القرآن الكريم والسنة فإذا كان التغريبيون

والعصريون والعلمانيون يقولون هذه الكلمة ليخيفوا الناس منها ويصرفوهم عن منابعهم فقد نجحوا حقيقة ، ومن ذا الذى يستطيع أن يقول إنه ابن عصره إلا إذا كان له رصيد ، وتاريخ ماض ،وأمجاد لا يغرق فيها ولاتأسره ولكنها تضئ الطريق أمامه ليبنى من جديد وليتعلم من الأخطاء .

إن التغريب والغزو الثقافى يحاول محاصرة الأمة الإسلامية فى هذه المرحلة من تاريخها من عدة طرق ، فهو فى سبيل تدميرها والقضاء عليها يلقى بثقله فى مختلف الميادين : فى مسلسلات التليفزيون ونجوم الطرب والفيديو ، والمخدرات وأفلام الجنس والجريمة وفرض مناهج الغرب على التعليم والثقافة والصحافة ، فما على المسلمين اليوم إلا أن يتضرعوا إلى الله فهذا هو البأس الشديد الذى يدعونا إلى أن نصمد ولا نستسلم ونستعين بالله تبارك وتعالى على مواجهة الحصار .

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الفصل الخامس

كانت [الثقافة العربية المعاصرة] وستظل بالرغم من محاولات التغريب

« قرآنية المصدر إسلامية الانتماء »

لا ريب أن الثقافة العربية المعاصرة هى حلقة من حلقات متصلة منذ فجر الإسلام من حيث أن الإسلام هو الذى صنع الثقافة العربية بمعطياته الأساسية (**القرآن والسنة**) التى قدمت عطاء ضخما للسان العربى ولأمة الإسلام وللإنسانية كلها : هذه المفاهيم والمعطيات والقيم التى أثرت حياة المسلمين الاجتماعية وفكرهم، وفيما يتعلق بالجوانب الثلاث: العقيدة والشريعة والأخلاق على نحو لم تظفر أمة بمثله من قبل ، بل لقد قدم القرآن فضلا عن عطائه للرسالة الخاتمة القائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كل مضامين الرسالات والكتب السابقة التى جاء بها أنبياء الله ورسله منذ أول أنبياء البشرية سيدنا نوح إلى محمد خاتمهم صلى الله عليهم وسلم جميعا فلم يعد المسلمون فى حاجة إلى مراجعة ما بقى من هذه الكتب بل لقد قدم لهم القرآن منهجا ميتافيذيقيا كاملا يرسم لهم عالم الغيب كله فلا يحتاجون إلى

الفلسفات الوثنية التى رسمتها عقول البشر إبان طفولة البشرية وقبل أن تبلغ رشدها برسالة الإسلام ، كما قدم لهم منهجا خاصا لسنن الحضارات والمجتمعات يرسم حركة التاريخ ، اهتدى به كل الذين كتبوا عن المدن الفاضلة ولم يستطع أن يتجاوزه مؤرخوا العصر ومنظروه أمثال هيجل وماركس وتوينبى وغيرهم بالرغم من دعاوى المبطلين الذين يعلنون أنهم تعلموا حركة التاريخ من خلال كتابات ماركس .

كذلك قدم لهم الإسلام منهج المعرفة ذى الجناحين (**الروح والمادة**) والذى أقام نظام الثوابت والمتغيرات .

هذا العطاء الضخم الخالد الذى لم تظفر أمة بمثله إذا قورن بما كان لدى الغرب أو لدى الأمم الأخرى ، هذا المورد الذى صنع الثقافة والفكر والتاريخ وبنى المجتمع الإسلامى وأقام منهج الحياة الجامع قبل أن يختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى (**اليوم أكملت لكم دينكم**) ثم جاء بعد ذلك عمل العلماء والفقهاء وجاءت دراسة الميراث القديم كله وغربلته ونقده وقبول مايتطابق مع مفهوم التوحيد الخالص ورد ما دون ذلك وكان للإسلام موقفه الواضح الصريح من الثقافات الفارسية والهندية واليونانية وترجمة الفلسفة ، وكانت تلك المراجعة الواسعة التى استمرت قرنين من الزمان

والتى حققت قيام مفهوم أهل السنة والجماعة والقضاء على الآثار المترتبة على الفلسفة اليونانية وغيرها وكان إيمانا أكيداً بالحفاظ على الذاتية الإسلامية من الاحتواء والتبعية والانصهار فى ثقافات الأمم وتلك قاعدة أساسية قام عليها الفكر الإسلامى والثقافة العربية ذات المصدر الإسلامى .

وتقوم فى العصر الحديث محاولات تغريبية قادها الاستشراق والتبشير وحملة الأقلام الشعوبية والعلمانية ترمى إلى فصل الثقافة العربية المعاصرة عن حلقاتها المتتابعة وعن تيارها الأصيل الممتد منذ فجر الإسلام فى محاولة لخلق ما يسمى بالنظرة الغربية العلمانية المنفصلة عن الماضى والتاريخ القديم والتراث .

وهى محاولة باطلة وزائفة تهدف إلى تحويل مجرى الثقافة العربية وجهة غربية وذلك بإدخال تيارات وافدة أمثال الحداثة والشعر الحر واللا قصة واللا معقول وغيرها من مصطلحات لايراد بها إلا القضاء على الأصالة التى عرفتها الثقافة العربية الإسلامية المصدر .

وهناك محاولة فرض منطلقات زائفة ترغب فى تدمير القيم الإسلامية المتنامية وظهور التغريبين والشعوبيين الجدد الذين يواجهون الآن الفكر الإسلامى (**ويسمونه الفكر**

الدينى) فى جرأة حاقدة، لضرب النصوص وإشاعة الشبهات ونقل العبارات من كتب الأدب لمحاكمة الفقه. ويقول أحدهم إن الفكر الدينى محفوف بأكبر المخاطر ولا يستطيع العقل العربى أن يتفهم هذا المجال ويتحدث فيه بحرية ويعالجه بجرأة وهذا يعنى اقتحام القيم الأساسية للأمة تحت اسم المراجعات الزائفة التى ترمى إلى إشاعة الشبهات حول حقائق الإسلام ونصوص الفقه، على النحو الذى ظهر فى بعض المجلات العربية منذ وقت قريب .

وهم يطلقون على هذه الموجة العاصفة الحاقدة التى لايراد بها وجه الله أو العلم الصحيح « **أزمة الثقافة** » .

فهم يطمعون فى أن يتاح لهم ضرب مفاهيم الإسلام الجامعة أو ضرب (**تكامل**) الإسلام فى قضايا :

١ — الدين والعلم .

٢ — العروبة والإسلام .

٣ — الأصالة والمعاصرة .

٤ — العلمانية والإسلامية .

ولم يكن فى تاريخ الإسلام كله خلاف أو صراع أو تناقض فى هذه المفاهيم وإنما جاء الخلاف أو أنشىء الصراع

بفعل فرض مفهوم الغرب وتفسيراته التى تقوم على الانشطارية الدائمة من القيم نتيجة للمفهوم المادى الصارخ الذى تقوم عليه الثقافات الغربية اليوم ، وهذا ما تريد تلك القوى الخصيمة للإسلام فرضه على الثقافة العربية الإسلامية الانتماء ، ذلك أن مفهوم الإسلام الجامع قد جعل من اللقاء بين العلم والدين وبين العروبة والإسلام وبين الأصالة والمعاصرة وبين الدنيا والآخرة تكاملا ، بل جعل من الإلهى والبشرى فى الإنسان تكاملا وهو الروح والمادة وقد طبقت هذه القاعدة فى جميع مجالات الفكر والحياة ، الإقتصاد ، والقانون ، والسياسة ، والتربية .

فالإسلام فى ثقافته وفكره قائم على الوحدة الجامعة التى صنعها القرآن وهى وحدة مرنة واسعة الجوانب رحيبة الأفق لا تتجمد ولا تتعصب ، وإنما تملك قابلية التنوع والاقتباس مما يزيدها قوة . والذى تنصهر فى داخلها العناصر ، ولا تنصهر هى فى الأمم .

ولا ريب أن الصحوة الإسلامية التى نعيشها اليوم إنما صدرت من العودة إلى المنابع الأصلية الأولى وليست من أى مصدر آخر . وقد فشلت المحاولات التى غش بها الرواد الأمم وخدعت بها الأمم من أن سلاح النهضة هو محاربة

الغرب بنفس سلاحه ، فقد أكد لنا طه حسين وجماعة التغريبين أن الولاء لثقافة الغرب هو القادر على أن يعطينا سلاح القدرة على مقاومة الغرب نفسه وقد كذبت الأحداث هذه الدعوى فى هزائم النكبة والنكسة منذ ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ .

ولذلك فقد كان أول عوامل الصحوة الإسلامية **العودة إلى المنابع** وليس إلى أى مصدر آخر إيمانا بأن المسلمين يملكون منهج حياة ربانى جامع شامل يتميزون به وهو يحول دون احتوائهم أو انصهارهم فى ثقافات الأمم ولقد كان الإسلام قادراً دائما على التجدد من الداخل وعلى ابتعاث النهضة من أعماقه حين تقع الأمة فى أزمة التخلف ولا ريب أن كل نهضة غير متصلة بالمصادر الأولى من (**القرآن والسنة**) فهى نهضة زائفة ويمكن أن تضل طريقها وهذا هو ماتحاوله (**مؤامرة التغريب**) التى تلبس اليوم قفازات عربية وإسلامية مليئة بالغيرة والحماسة ، حين تحاول حجب الأدب والثقافة المعاصرة عن جذورها وأصولها الإسلامية تحت اسم الفكر العربى أو الثقافة العربية أو الحضارة العربية وهذه ولا شك أخطر التحديات فلنحذر هذه النغمة الضالة المضلة وعلينا أن نظل مرتبطين بأوليات الإسلام وأصولنا التاريخية ولا ريب أن (**اليقظة ، الصحوة ، النهضة الإسلامية**) المعاصرة

فى مراحلها الثلاث إنما صدرت من المنابع الأولى، ولم تصل إلى مرحلة الأصالة إلا بعد أن تحررت من التبعية لمفاهيم الولاء الغربى بشقيه الذى فرض علينا فى مرحلتى الليبرالية والماركسية .

ويجب ألا يعدوا أسلوب الاتصال بالفكر الغربى (**بشقيه**) ما قام به المسلمون إزاء التراث اليونانى والفارسى والهندى ، حين ترجموه بإرادتهم وكشفوا زيفه وصححوا أخطاءه وأخذوا منه « **مادة خاما** » صهروها فى بوتقهم ولم ينصهروا فيها، وما أخذوه شكلوه فى إطار عقيدتهم وقيمهم ولقد كانت صياغة المنهج العلمى التجريبى الإسلامى ومنهج المعرفة القائم على العقل والوجدان ومنهج سنن الحضارات والأمم الذى طبقه ابن خلدون (**تحت أسماء علم العمران فى القديم وعلم الاجتماع فى الحديث**) جديدة على الفكر البشرى كله الذى أخذها من جامعات المسلمين فى قرطبة وغرناطة وأشبلية ومالقه ونماها من بعد ذلك وأضاف إليها ولكن ظل الأساس الإسلامى فى التجريب هو الذى فتح للبشرية كلها الطريق إلى هذا العصر. إن دعاة تغريب الثقافة العربية وفصلها عن انتمائها الإسلامى إنما يطالبون بأن يفتح لهم الطريق الذى فتحه طه حسين وينسون أن الدعوة إلى التشكيك فى ثوابت

الإسلام عمل خطير مهما احتمى أصحابه وراء كلمات التراث والقديم ونحن نؤمن بأن الثقافة العربية تتسم بطابع الوحدة والاستمرار ، وأن تفسيرات الماركسيين والليبراليين المختلطة المضطربة لا يراد بها أكثر من حجب الأصول الأصلية .

ولقد كان موقف المسلمين فى الماضى كما هو اليوم إزاء الترجمة وإزاء الفكر الوافد واضحا وصريحا ، فنحن لا نترجم إلا ما نحتاج إليه ، من علوم وتكنولوجيا أما ترجمة الأدب والقصص واجتماعيات أمم أخرى تختلف فى قيمها وأخلاقها وعاداتها وعقائدها عنا فهذه لا نحتاج إليها ولا فائدة تعود علينا منها .

ولقد أهمل المسلمون الأوائل أبواباً كثيرة من الثقافات الأممية لأنهم يرون أنه لا حاجة للمسلمين بها وكانوا يملكون إرادتهم ، أما اليوم والمسلمون لا يملكون إرادتهم،وهم فى مرحلة احتواء النفوذ الأجنبى ، فقد تسرب كثير ،من سموم الفكر الغربى الإباحى الوثنى المادى الذى يجب أن ينظر إليه بحذر وأن يتصدى له المفكرون المسلمون لكشف زيفه أمام الشباب المثقف حتى لايقع فيه ، ويجب أن تقوم صفوة من الباحثين لتكشف عن أخطاء هذه المترجمات بالنسبة لعلوم

النفس والاجتماع والأخلاق وبالنسبة لدارون وماركس وفرويد وسارتر ودوركايم الذين يجب أن تتجاوزهم الثقافة العربية الإسلامية .

وهناك قضية المواءمة بين التراث والوافد ، وهى دعوى مطروحة منذ وقت طويل ، فى مواجهة قيام تيارين : أحدها : محافظ والآخر غربى ، ودعاة التغريب عندما فقدوا قدرتهم على احتواء الثقافة العربية الإسلاميه المصدر وتغريبها ،انتقلوا إلى فكرة المواءمة التى يرفع لواءها اليوم كتاب كبار ، يقولون نأخذ من القديم (**التراث**) ما يلائمنا ونأخذ من الغرب ما نحتاج إليه .

وعرض القضية على هذا النحو مغالطة واضحة ، وتمويه كبير ، وإذا كان قد قال بها البعض فى المراحل السابقة فإنهم إنما كانوا لا يعرفون مدى خطورة المطروحات التغريبية الجديدة المسمومة .

ولقد كان موقف اليقظة الإسلامية فى هذا الصدد يتلخص فى عبارة « **البناء على الأساس** » فنحن لا ننظر إلى التراث ولا إلى الوافد إلا فى ضوء المنهج الإسلامى نفسه الذى هو الأساس فما وافقه من تراث أو وافد قبلناه ، أما أن نقف من التراث موقف الانتقاء ويجىء أصحاب ابن

عربى والحلاج وأبو نواس وبشار وإخوان الصفا والأغانى ، فيملأون الدنيا بأباطيلهم فهذا ما لايرضاه الإسلام الحق .

وكذلك الأمر فى الوافد الذى لانقبل منه إلا مايزيدنا قوة وما تحتاج إليه الأمة فى مسيرتها العصرية وما يحقق استقلالها الاقتصادى وتمايزها الحضارى ، وما ينمى مصادر ثروتها،أما سموم العلمانية والإباحية والوثنية وتدمير النفس البشرية بالجنس والجريمة والتحلل فهذا ما يجب أن نحجبه عن ثقافتنا العربية ولا ريب أن بلوغ الإسلام فى مرحلة الصحوة المعاصرة درجة الرشد الفكرى تجعله قادراً على الاختيار والرفض، كذلك فإن المسلمين لا يؤمنون بتوظيف الجوانب الجامدة أو البعيدة عن المرونة من التراث ولايقدسون الماضى لأنه ماض ، وإنما ينظرون إلى تقدم جامع بين المادة والروح لا يضحى بالقيم فى سبيل العطاء المادى ولا يضحى بالأخلاق منها فى سبيل المثال الجمالى .

وفى الإسلام لاتكون بين القيم أزمة فهى تتلاقى وتتكامل بتلاقى الإسلام مع العروبة والدين مع العلم ، والأصالة مع المعاصرة لأن الإسلام ليس دينا لاهوتيا ، يقوم على العلاقة بين الله والإنسان ولكنه يجمع العلاقتين الإنسانيتين مع الله تبارك وتعالى ومع المجتمع ومن هنا لا توجد مشكلة ولاأزمة

(**ولا إشكالية على حد تعبيرهم**) لأن الأزمات تنشأ من الانشطارية التى تقتصر على وجهة نظر واحدة هى المادية فترى أن كل ما يضادها معارضا أو مضاداً وهذه هى الجدلية التى صنعها مفهوم (**هيجل**) حين نقل الفكر الغربى من ثبات أرسطو التام إلى الحركية التامة وكلاهما مناقض للقانون الإسلامى الأصيل الذى يجمع بين الثوابت والمتغيرات ، ومن هنا فإن النظرة الغربية الوافدة ومعتنقيها هى التى تحاول أن توجد هذا الخلاف بين القيم المتكاملة تكامل الروح والمادة والعقل والقلب ، والدنيا ، والآخرة .

هذا وبالله التوفيق ، ، ،

الفصل السادس

لا يقر الإسلام ما يسمى العقلانية منفصلة

وإنما يؤمن بتكامل العقل والروح
فى منهج المعرفة الإسلامى

إن محاولة توصيف الإسلام بمصطلحات الفكر الغربى هى محاولة ماكرة خبيثة ترمى إلى صهر مضامين الإسلام فى قوالب وافدة ليست من صنعه ولا من طبيعته وهى بالأحرى إخراج له عن ذاتيته الخاصة ووجوده الأصيل ، وإلا فلماذا هذه المحاولات المتعددة لوصف الإسلام بالديمقراطية حينا وبالاشتراكية حينا ولوصفه بالعقلانية فى كتابات متعددة تجرى اليوم على الأقلام والألسنة تشبها بالعقلانية الغربية التى يتسم بها الفكر العلمانى الانشطارى القائم على الفلسفة المادية والتفسير المادى للتاريخ وتجاهل غير المحسوس .

وليست العقلانية فى الفكر مرتبطة بالعلم التجريبى الذى يصوغ مفاهيمه داخل المعامل وإنما هى مرتبطة بالفلسفات التى تسيطر عليها القوى التى تعمل على دفع العالم كله إلى هوة الانحراف والانحلال والدمار ، بتجاهل الجانب الإنسانى المكمل لشخصيته بوصفه مادة وروحا ومنذ أن

سيطرت المفاهيم التلمودية ومناهج الماسونية ومخططات وبرتوكولات صهيون على الفكر الغربى تحت اسم عصر التنوير وبدأت تختفى الفلسفة المسيحية بشقيها المدرسى والمثالى فقد خضعت الفلسفات والدراسات الأدبية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية لهذه المفاهيم والتفسيرات وعلت النزعة العقلانية التى رأى التغريبيون أن يصبغوا بها مفاهيم الإسلام حتى يرتقى الإسلام إلى مصاف الفكر الغربى العقلانى ويخطىء إخواننا العلمانيون أشد الخطأ فى جرأتهم هذه على مفهوم الإسلام الجامع الذى يستمد أصوله الربانية من القرآن الكريم والسنة المطهرة حيث يعلون من شأن العقل ويصفونه بالقداسة ويرددون تلك الكلمات الباهتة كعبارة العقلانية الإسلامية والحضارة العقلانية وهم يجهلون أبعاد العلاقات بين العقل والوحى وبين العقل والروح ، وبين العلم والعقل وبين المعقول والمنقول ، ويستندون فى ذلك إلى تفسيرات واهية ترمى إلى إعلاء المعقولات على المنقولات ، ظنا أن هذه المعقولات إنما هى تراث أو مأثورات شبيهه بتلك التى يتحدث عنها علماء اللاهوت أو فلاسفة الغرب غافلين عن أن الإسلام يقوم على القرآن الكريم المنزل بالوحى على قلب النبى ﷺ وعلى السنة المطهرة التى هى الشطر المكمل

والمفسر للوحى ، على حد قول الرسول ﷺ (**إنما أوتيت هذا الكتاب ومثله معى**) فالقياس هنا خاطىء وظالم حين يتحدث التغريبيون والعلمانيون عن القرآن والسنة على أنها مأثورات ويصفها أحدهم ظلما بأنها أساطير وخرافات .

ومن هنا يجىء خطأ القول بأن القرآن معجزة عقلية يتوجه إلى العقل ، ذلك أن القرآن معجزة عقلية روحية تاريخية علمية نفسية تتصل بكل خيوط التفكير والفهم والتلقى المتصلة بكيان الإنسان فهو يخاطب روحه وعقله وكيانه كله بمفهومه الجامع .

كذلك فإنهم يخطئون فى فهم مهمة العقل ومدى تحكيمه فى الأمور فى إطار أنه مناط التكليف ، والإسلام لا يقر تلك الدعوى العريضة المثارة على الأقلام بسيطرة العقل على كل شىء ، و ما كان للعقل أن يسيطر ، لأنه ليس قادرا فى الأساس على أن يتجه إلا فى إطار الأوضاع التى شكلته فهو فى بيئة الإلحاد لا يستطيع أن يهتدى إلى الإيمان ، وفى بيئة الإباحية لا يستطيع أن يهتدى إلى الفضيلة ، وكون العقل مناط التكليف يقوم على أنه تحت الوحى وأنه يتحرك فى هداه ، وأصحاب العقول – ذوى الدعاوى العريضة المثارة اليوم على صفحات كبرى – محكومون بغرائزهم وأهوائهم ،

ولا يقفون عند حدود معينة ، ومن هنا جاء الدين عونا للعقل على تعرف الوجهة الصحيحة ، وعصمة له من الزيغ والانحراف ، ولو كان العقل - وحده - قادرا على أن يهدى إلى الحق لما جاء الدين موجها له، فالهداية التى عجزت العقول أن تصل إليها بنفسها، جاءت عن طريق الدين والوحى : ولقد كانت تجربة العقل قد أبانت عن عدم عصمة الإنسان عن الخطأ فكان لابد من إرسال الرسل لمساعدة العقل البشرى فى حراسة الإنسان من الخطأ والانحراف ، والعقل لم يمنع الإنسان من الخطيئة وليس بعاصم من المعصية .

فعلاقة العقل بالوحى علاقة الحكم فى ضوء كاشف من نور الله . أما إذا اتجه العقل إلى الحكم بغير هدى الوحى فإنه سوف لا يستطيع أن يرتفع فوق مستوى الأهواء الفردية ، على النحو الذى نراه واضحا فى الأيدلوجيات البشرية والنظريات المادية التى سرعان ما يثبت فسادها وقصورها فى مواجهة متغيرات البيئات والعصور ، ومن هنا لا يقر الإسلام تناقض العقل مع الوحى ، وفارق كبير بين العلم والعقل ، والإسلام هو الذى فتح الباب واسعا للعلم حين دعاه إلى النظر فى خلق السموات والأرض وهو الذى فتح الباب واسعا أمام العقل حين دعاه إلى البحث عن

البرهان والدليل ومن قبل الإسلام لم تكن هذه المعانى مفهومة على هذا النحو الذى صنع الحضارة المعاصرة بعد أن نشأ منهج التجريب الإسلامى فى أحضان جامعات الأندلس كما نشأ منهج المعرفة ذى الجناحين (**الروح والمادة**) ونشأ أيضا منهج قانون قيام المجتمعات والحضارات وسقوطها وهو ما يسمى (**سنن الله فى الأمم والمجتمعات**) .

هذا هو تراث الإسلام العلمى الحقيقى الذى صنعه المسلمون وهو ليس تراثا عقلانيا ، وما كان للمسلمين أن يتحدثوا عن عقلانية مفردة تستعلى بنفسها ، إلا حين وقعت تجربة (**المعتزلة**) التى سرعان ما سقطت لأنها حاولت أن تعتبر نفسها مفهوما إسلاميا مسيطرا ، وتجربة الفكر اليونانى والفارسى والهندى المترجم إلى اللغة العربية واضحة الدلالة فقد أعلت من شأن العقلانية ، ولكن الإسلام لم يقبل منها هذا (**التفرد**) من دون مختلف العناصر الجامعة التى تمثل الإسلام والفكر الإسلامى (**مادة وروحا ، وقلبا وعقلا ، ودينا وآخرة**) هذا العصر عصر الترجمة وغلبة التيارات الفكرية الأجنبية لا يمكن أن يدرس منفصلا عن ظروف نشأته وسقوطه فلقد واجه العلماء المسلمون هذه التجربة مواجهة صريحة واضحة فأعلنوا رفض الإسلام القاطع لهذا الاستعلاء

العقلانى الذى قام به المعتزلة وواجه الموقف عمالقة أفذاذ (**الشافعى وأحمد بن حنبل والغزالى وابن تيمية**) وكشفوا فساد هذا الفكر الفلسفى المترجم (**الذى يستعلى به الآن** من يحاولون أن يضعوا ابن سينا والفارابى وغيرهم فى مصاف قادة الفكر الإسلامى بينما ، كانت الحقيقة أن علماء المسلمين أسقطوهم من الحساب كلية وضموهم إلى المشائين اليونان المستعربين ؟ ؟ ؟

ولا نجد عبارات وصف هذه المرحلة بأنها (**أخذت وأعطت وترجمت وتمثلت وأضافت**) بالمفهوم الصحيح ، وإنما المفهوم الصحيح أن المسلمين **أقاموا** منهجهم التجريبى بإبداع خاص من القرآن الكريم نفسه وكذلك قام منهج التاريخ الذى قدمه ابن خلدون من القرآن أيضا ، أما التراث الوثنى القديم فقد نظروا فيه وصححوا أخطاءه وما قبلوه منه قبلوه بوصفه مادة خاما صهروها فى بوتقتهم وبذلك كان فكر الإسلام متميزا وأصيلا وجامعا .

أما هذه المصطلحات الوافدة المثارة فى داخل الكتابة عن الإسلام كعبارة الإسلام الدين ، أو تجديد الدين ، فهذه كلمات مبهومة مضللة ، فالإسلام ليس دينا بمفهوم الغرب ، ولكنه دين بمعنى منهج حياة ونظام مجتمع وما كان هناك

الإسلام الدين منفصلا عن الإسلام الحضارة ، وما كان الإسلام يعرف (**تجديد الدين**) بمفهوم الغرب ولكن بمفهوم الإسلام : تجديد وسائله وأدواته وأساليبه ، أما الإسلام فإنه خالد باق قائم على أصوله الربانية التى لا تقبل التغيير أو التطوير .

ومن هنا فإن هذا الفهم ليس معناه تجريد المسلمين من الأصالة فى ميدان المنهج العقلى أو التشكيك فى قدرات العقل لحساب النصوص والمأثورات(**وما هذه النصوص والمأثورات إلا القرآن والسنة**) وهو تعبير علمانى تلمودى يراد به الانتقاص من مصطلح (**النقل**) الذى هو فى مواجهة العقل والمسلمون لا يؤمنون بإطلاق سلطان العقل،ولا بأن له قدرة إلا فى ضوء الوحى ، وإلا فإنه يتخبط فى الأهواء كما يفعل الآن فى الفكر الفلسفى المادى الغربى ، إننا لا نتحدث عن المنهج العقلى وإنما نتحدث عن المنهج العلمى التجريبى الذى تنفرد بمفاهيمه فى المعامل،أما مفاهيم الفلسفات المادية القائمة على بعض قواعد العلم التى تتغير يوما بعد يوم فإنها سرعان ما تخترقها المتغيرات،فهى ليست أصولا ثابتة على مدى الزمان ولا يمكن أن تقبل مقرراتها على أنها قوانين وإنما هى فروض قابلة للخطأ والصواب وهذا هو الفرق بين العلم والفلسفات .

فالعلم التجريبى هو ما نقبله من الغرب ، أما الفلسفات فلأنها مرتبطة بأسلوب العيش وأخلاقيات الأمم وعقائدها فإننا نعتبرها نتاجاً خاصاً بكل أمة ، ونحن نعرف أن العقلانية الغربية إنما تقوم الآن كرد فعل على مرحلة سابقة من الرهبانية والزهد ، وإذا تحدث الغرب عن العقلانية فإنه يمزق وجوده الذى يتقاسمه الانحلال والإباحية والإسراف فى الشهوات التى وصلت إلى أسوأ صور الشذوذ الجنسى .

وإذا كان ما يزال هناك كثير من كتابنا ومفكرينا مخدوعين إزاء ما يظنونه من قدرة الفلسفة المادية على العطاء فقد كشفت الدراسات الجادة خطأ هذا الاستعلاء بكلمة (**العلم**) فى موضع الفلسفة أو العلوم الإنسانية غافلين عن ما يحوط هذه الدراسات من ثغرات فى مجالات كثيرة ، من حيث اعتماد هذه الدراسات على أساليب العلوم التجريبية ، مع تجاهل الفارق البعيد بين العلوم المتصلة بالمادة وما يتصل بالنفس الإنسانية ، ومن ثم تهاوت مختلف النظريات التى ظهرت فى العقود الأخيرة فى مجال العلوم الاجتماعية والنفس والتربية والأخلاق ومن ذلك نظريات التفسير المادى للوجود والتفسير المادى للحياة ، والتفسير المادى للتاريخ ، حيث لا يوجد إلا المادة وقوانين تطورها ، والقول بأن العالم وجد

اتفاقا ومصادقة وحيث لا مجال لما يجاوز عالم الحس إلى ما وراءه ، ومنها ما يؤكد أن معيار الحق هو المنفعة .

هذه هى الخطوط التى يقوم عليها الفكر العقلانى الغربى القائم على المادة ، والتى يحتمى بفكرة **(التطور المطلق)** التى استمدت مفاهيمها من نظريات دارون وسبنسر وما جاء به هيجل وما يختلف مع مفهوم الإسلام إزاء نظام الثوابت والمتغيرات ، ومن قبل كانت نظرية **(الثبات المطلق)** التى قال بها أرسطو ثم جاءت نظرية **(التطور المطلق)** التى قال بها هيجل، وتجيء فكرة **(نسبية الأخلاق)** التى لا ترى أن الأخلاق قيمة ثابتة دائما فهى تتغير بتغير الأزمنة والبيئات ، ولا ريب أن هذين النظريتين قد قام بهما دعاة العلوم الاجتماعية من أمثال ليفى بريل ودوركايم من أجل إفساد المجتمعات وتحللها أخلاقيا ودينيا ،والهدف أن يكون المجتمع شاكا ، مليئا بالفتن ، فى سبيل هدم الثوابت فى علوم الاجتماع .

وهذا هو ما ينقل الآن إلى آفق الفكر الإسلامى لضرب مفاهيم الإسلام الجامعة ومن هنا تطرح تلك المصطلحات الوافدة التى يراد بها تزييف **(الأصالة)** الإسلامية فى منهج جامع متكامل يربط بين المنهج والتطبيق ولا يفصل بينهما ،

فى نفس الوقت الذى تنهزم فيه هذه النظريات المادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ونجد الآن صيحة مدوية فى الغرب (**سواء فى الغرب الرأسمالى أو الماركسى**) تقول إن النظام الاقتصادى العالمى قد فسد، وأنه لا سبيل لإقامة مجتمع أفضل إلا بنظام جديد. كما علت الدعوة إلى أن فلسفة الاجتماع الغربى هى فلسفة زائفة ، وقد تبين أن هذه العلوم الاجتماعية من أخطر العلوم على العقيدة الإسلامية إذ أن أكثرها بنى على الأهواء ، والأحقاد ، وتقوم على افتراضات ومسلمات لها أهداف فاسدة أبرزها الشك فى الوحى والأديان وإلغاء الأخلاق واعتبارها مجرد ظواهر نفسية واجتماعية ، وهى تحقق أهداف الماسونية وبروتوكولات صهيون ، وترمى إلى قيام الصراع فى المجتمعات من ناحية وفرض نفوذ امبراطوية الربا بينما لا يؤدى الإسلام إلى الصراع أو مصادرة أرزاق الناس ، وإذا كانت هذه النظريات التلمودية قد هزمت كثيرا من الديانات والملل والنحل وغزتها فى عقر دارها فإنها وقفت وتقف حائرة أمام صمود الإسلام الذى لا تستطيع هذه التحديات صرف أبنائه عنه . وبالرغم من الأساليب التغريبية التى تجرى فى معاملته فإنه يقف كالطود الشامخ .

وقد تكشفت فى الغرب اليوم حقائق كثيرة عن فساد العلوم الاجتماعية ، وأخطاء الحضارة الغربية و نقصها وعجزها عن وجود البعد الربانى بها واضطراب المجتمعات الغربية ، بل لقد كشف الباحثون الغربيون المصنفون عن أن الحضارة الغربية تمر الآن بمرحلة السقوط والهزيمة فكيف يمكن قبول فكرها فى هذه المرحلة ، والعالم كله يتوجه إلى الإسلام ليجد فيه منقذا مما يمر به من أزمات حالكة مدمرة ، ، ، ،

الفصل السابع

أخطار تحجب المنابع

دعاوى زائفة يطرحها « التغريب »

لحجب المنابع الأصلية

التغريب هدف ، من أهداف الغزو الفكرى ، يهدف إلى حجب المسلمين عن منابعهم وإدخالهم فى تيه من النظريات والدعوات تحول بينهم وبين تبين وجهتهم وطريقهم إلى الله ، ولذلك فنحن نرفع فى مواجهتة شعار (**أسلمة المناهج**) والدعوة إلى تحرير الفكر الإسلامى من الشبهات والسموم المطروحة أمامنا فى مجال الثقافة ، والصحافة ، هذه الشبهات التى تتمثل فى دعوات أو حملات أو مؤتمرات أو مؤسسات كلها ترمى إلى ضرب الإسلام من الداخل وحجبه عن أصالته،من هذه الدعوات الفرعونية ، وهى محاولة لإحياء تاريخ قديم سابق للإسلام وهناك إحياء الأساطير ، والدعوة إلى تناسخ الأرواح وما نراه من الطوالع وأحاديث السحر والعفاريت ، وكل هذا يهدف إلى إحياء الفكر البشرى القديم الضال الذى قضى عليه الإسلام .

فالأساطير تقوم على تأليه قوى الطبيعة وهى التى فتحت الطريق أمام عبادة الأصنام والكواكب السماوية ، وفيها

ينسب الإنسان وقوع الظواهر الطبيعية إلى عدد من الألهة تهيمن على الكون وما فيه ، وهو ما كان يعتقدة الفراعنة فى كتاب الموتى ،والفرس فى كتابهم الافستا ،والهنود فى كتابهم الفيدا ، والصينيون فيما قال به كنفوشيوس .

وقد كشفت الأديان السماوية فساد هذه الأساطير ، عصرا بعد عصر ، وقد تركزت هذه الأساطير فى فلسفات اليونان والإغريق التى استطاعت أن تقتحم المسيحية بعد اليهودية وأن تفرض عليها مفاهيمها ، حتى جاء الإسلام فكشف زيفها وأعلن وجهته الربانية المصدر الإنسانية الهدف فقضى عليها ،ويرى الأستاذ « محمد أبو بكر إبراهيم » : « أن بحوث هذا العصر النظرى تتجه نحو الطبيعة وما وراء الطبيعة ولم يكن الإنسان من بين هذه البحوث بل أغفل إغفالا لأنهم جهلوا النفس البشرية فحملهم هذا الجهل أن يلتمسوا العلم فى خارجها » .

ولقد كانت الأساطير أداة الفكر البشرى لسد الثغرات التى لم يعلمها ، فجاء الإسلام وقدم للمسلمين منهجا كاملا للغيب وما وراء المادة الطبيعية بحيث لا يحتاج معه المسلم إلى مزيد من البحث وإجهاد الذهن فى تصور هذا العالم ومن ثم لم يعد للفلسفة الميتافيزيقية كبير نفع لدى المسلمين الذين لم يعودوا فى حاجة إلى مثل هذه التلفيقات .

ومن هذه الدعاوى المطروحة فى هذا المجال لحجب المنابع فكرة : تناسخ الأرواح وهى عقيدة قديمة لاتزال هناك جماعات معاصرة تعتنقها ، وذلك قولهم أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقتها (وهو قول القرامطة وأشباههم ويجوز عندهم انتقال روح الإنسان بعد موته إلى حيوان أو من حيوان إلى إنسان ، نقل هذا (محمد ابن زكريا الرازى الطبيب) ويعتنق هذا الرأى النصيرية ،أما الإسلام فإنه يقرر فى حسم أن الروح بعد مفارقتها جسدها لا تعود إلى جسد آخر البته وليس هناك نص ولا دليل على عودها من عقل أو نقل ، ولا ريب أن إعادة بعث هذه النظريات الباطلة هو من محاولات التغريب فى حجب مفهوم الإسلام الصحيح .

إن الإسلام فى مفهومه الجامع ، مفهوم أهل السنة والجماعة يرفض هذه الفكرة المسمومة التى تقول بها فرق الباطنية .

ولقد سرت فى سنوات ما بين الحربين العالميتين دعوات الإقليمية مزودة بالعودة إلى التاريخ القديم فظهرت دعوات الفينيقية والفرعونية والآشورية والبابلية ، وكانت فكرة الفرعونية قائمة على الإعجاب بالمقومات الوثنية مرتبطة

بالهياكل والمقابر والأهرامات ، وصور الاستبداد وعبادة الفرعون المدعى الألوهية .

وقد جاء الإسلام فحرر العالم كله من الوثنية والرق والخرافة والعبودية (**عبودية الفكر والجسد**) ودعا الإنسان إلى العبودية لله تبارك وتعالى ، ومن ثم فقد جاءت هذه المحاولات للدعوة إلى الإعجاب بآثار الحضارة اليونانية دعوة إلى مقومات الوثنية .

وقد جاءت المسيحية : دينا سماويا لإنقاذ المظلومين من ظلم الرومان ولكنها لم تستطع أن تتحرر تماما من وثنية الفرعونية فى التثليث والاكليروس وصكوك الغفران ، ونظام الطبقات ، والقربان والمعابد .

* * *

ومن ناحية أخرى نجد أن محاولات التغريب لحجب المنابع واضحة فى تلك الحملات التى يسوقها دعاة التبشير والاستشراق على الإسلام ، وهى حملات لا يقتصر عليها كتاب مسيحيون أو يهود بل إننا نرى أن الماركسية تسهم فيها بقدر وافر وقد جاء كتاب محى الدينوف (**القرآن عقيدته وتعاليمه**) الذى ظهر فى السنوات الماضية كاشفا عن مخطط الشيوعية فى الحملة على الإسلام ، ومن وراء تلك التقاربات

بين الشيوعية واليهودية وبين الفاتيكان والماسونية ، وماأعلنته الفاتيكان من براءة اليهود من محاولة صلب السيد المسيح ، ويقود الكتاب حملة ضد القرآن الكريم والإسلام كله انتقاما من هذا الدين فالماركسية ترى «أن الدين معوق لحركة التاريخ وأن مهمة الشيوعى القضاء على الدين حتى تندفع حركة التاريخ إلى الأمام دون عوائق »

وقد باءت محاولات تنحية الدين عن المجتمعات البشرية بالفشل وتبين مدى قدرة الإسلام على التأثير العميق الواضح .

ومن ذلك ما كشفت عنه الأبحاث من العمل الخطير الذى ظهر فى المجلد الثالث من كتاب البشرية الذى أصدرته منظمة اليونسكو . حيث جرى هذا العمل فى طريق تسميم المنابع الإسلامية وتكذيب حقائق التاريخ .

وقد جمع هذا المجلد هذه الشبهات : -

١ - إن الإسلام احتفظ فى ركن الكعبة بالوثن المهم لأهل مكة وهو الحجر الأسود .

٢ - إن الإسلام كان توفيقيا بين نظريات مسيحية ويهودية ووثنية .

٣ - إن القرآن مؤلف تأليفا بشريا ذو مراتب مختلفة فى نسقه وفى طريقة تعبيره .

ولاريب أن هذه التخرصات كاذبة وباطلة وأنها لاتزيد عما ردده المستشرقون، وقد واجه ذلك دعاة الإسلام وفندوا هذه الشبهات .

ومن ناحية أخرى فإن هناك محاولات تقوم بها قوى التغريب (**الاستشراق والتبشير**) بإحياء فكر الفرق الضالة القديمة التى انتهت وزالت ، فإننا نجد الآن من يحاول إحياء هذا الفكر وتجديده وخاصة ما يتعلق بالفكر الفلسفى الصوفى المتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وهو الفكر الباطنى الذى كشف المفكرون المسلمون عن زيفه فى عديد من الكتب المشهورة والمنشورة .

ويقول الأستاذ«توفيق بن عياد» : يتعين علينا اليوم أكثر من أى وقت مضى أن نأخذ المشعل بأيدينا لبيان محتوى كل نحلة من النحل السافرة والمقنعة المتواجدة اليوم فى مجتمعاتنا الإسلامية على طول محور (**جاكرتا — طنجة**) حسب تعبير مالك بن بنى لأن هذه الطوائف تدعّى العمل لفائدة الإسلام والمسلمين غير أنها فى الواقع لا تبغى إلا إبعاد المسلمين عن دينهم والتغرير بهم بمختلف أنواع المغريات، بأسماء زائفة منها الإخاء الإنسانى والتعاون العلمى وما إلى ذلك من الشعارات التى تخلب العقول الساذجة وتستهوى النفوس الضعيفة .

وفى مقدمة هذه النحل التى تستشرى اليوم فى مجتمع المسلمين (البابية ، والبهائية ، القاديانية ، الإسماعيلية) لصلتها بالماسونية التى تغذيها الصهيونية عملا بالمبادىء الهدامة للكيان العالمى ، التى نادت بها بروتوكولات صهيون .

ومن المعروف أن أعداء الإسلام يعرفون أنه من العسير جدا أن يرتد المسلم عن الإسلام إلى سواه من الأديان ، ومن هنا اتجه هؤلاء إلى تضليل المسلم ودفعه عن الانحراف والبعد عن مفهوم الإسلام الصحيح ، ومن وسائلهم أن يكلموه عن الإنسانية والعمل لخيرها ومن وسائلهم أن يصوروا له أن الأديان هى أفيون الرعاع ، ومن ثم يميلوا به إلى اللادينية أو إلى مذهب من المذاهب الضالة .

ولا ريب أن المسلمون اليوم على قدر كبير من الوعى بهذه المؤامرات وأنهم يعرفون جيداً أن مهمتهم هى « العودة إلى المنابع » الأصيلة وأنهم وقد قطعوا مرحلة اليقظة وصولا إلى النهضة، وهى ليست إلا الإرادة التى تدفع إلى العمل، وأن التغريب هو البقاء فى حدود الفتور وقبول الواقع فليس التغريب هو فكر فقط وإنما هو عملية نفسية أيضا وكذلك الأمر فى النهضة .

الفصل الثامن

كيف نفهم علاقة الفلسفة بالفكر الإسلامى

وهل هناك فلسفة إسلامية ؟

لماذا يريدوننا أن نقبل أرسطو بينما هم يرفضونه ويقبلون منهج التجريب الإسلامى

إنى أخشى أن يكون إخواننا الذين يعملون فى الحقل الإسلامى فى الصحف القومية قد تورطوا فى مأزق خطير دون أن يتنبهوا إلى خطئهم بنقص خلفية وبإغراء كلمات براقة وعبارات مرنة ترمى إلى احتواء الفكر الإسلامى فى قضية حدد الإسلام موقفه منها منذ وقت بعيد ، فكيف يقال اليوم إن الفكر الإسلامى (أيام الفارابى وابن رشد) مزج بين الثقافتين الدينية والأجنبية؟وكيف يقبل الفكر الإسلامى أن يمزج بين التوحيد والوثنية؟وبين الإخاء الإسلامى وبين العبودية والرق ؟ لقد جاء الإسلام معارضا ومخالفا للمفهوم الرومانى واليونانى والفارسى والفرعونى الذى كان مسيطرا على هذه الحضارات، بل جاء لهدم هذه المفاهيم التى تروج لها الفلسفة اليونانية وغيرها حيث يصر كبار أعلامها **(أرسطو وأفلاطون)** على أن الرق أساس من أسس الحضارة وأن

العبودية في الساحة والسيادة في القمة ضرورة لا يمكن التنازل عنها وأن العبد إذا وصل إلى منصب السيادة فهو عبد، وأن السيد إذا نزل إلى مكان العبودية فهو سيد: الحقيقة أن هذه خدعة كبرى فإن المسلمين لم يقبلوا هذه الأفكار حين ترجمت الفلسفات بل عارضوها ووقفوا أمامها بشدة وقوة ودقة، وإن هذا القول الذي يردده التغريبيون من أن الإسلام قبل الفلسفة اليونانية(**التي ترجمها الفارابي وابن سينا وابن رشد**) هو قول باطل، فلقد اعتبر علماء الفكر الإسلامي وقادته هؤلاء الفلاسفة أتباعا لمدرسة المشائين اليونانية في اللغة العربية وما قبلوا منهم شيئا، لأن محاولاتهم في مزج الفكر الإسلامي الرباني القائم على التوحيد الخالص بالفلسفة اليونانية كانت محاولة باطلة سرعان ما سقطت، خاصة وأن هذه المترجمات تمت عن طريق النساطرة الذين حاولوا الاستفادة منها بتحريفها للدعوة إلى مذاهبهم ونحلهم، فهي لم تترجم ترجمة أمينة فضلا عن أنه حدث تحريف في نسبة الكتب سواء إلى أرسطو أم إلى أفلاطون مع العلم أن مذهبيهما مختلفان، فأرسطو (داعية المادية وأفلاطون داعية الروحية) ولذلك فقد كانت خطيئة كبرى أن حاول الفارابي الربط بين كتابين منسوب أحدهما خطأ إلى الآخر، ولم تنفع محاولة لوى النصوص أو تبريرها، ولقد ادخلت الفلسفة

اليونانية إلى الفكر الإسلامى حين ترجمت رياح السموم وعواصف الانحلال وأفسدت أجيالا كثيرة ، وإن كان علماء المسلمين قاموا فى وجهها وكشفوا عن زيفها وكان فى مقدمة هؤلاء الإمام الشافعى والإمام أحمد ابن حنبل والإمامين الغزالى وابن تيمية .

وقد تحررت هذه القضية تماما حين أعلن العلماء أن الإمام الشافعى هو أول الفلاسفة الإسلاميين بكتابه (**علم أصول الفقه**) وأن كل ما جاء قبله مدخول وداخل فى مدرسة المشائين اليونانية باللغة العربية .

ونحن نعرف أن هذه المحاولات تتكرر فى كل فترة لخداع الشباب المسلم عن حقائق الأمور ، ونعلم أن المسلمين دعوا منذ بدأ النفوذ التغريبى إلى العودة إلى أرسطو وترجمة كتبه ، بينما المعروف أن المسلمين رفضوا أرسطو منذ القرن الرابع ،ولما عرف الغربيون الفكر الإسلامى والمنهج التجريبى الإسلامى خرجوا على فلسفة أرسطو واعتبروها فلسفة جامدة وأنها هى التى حالت دون التقدم ، ولكن فكر التغريبيين كان شديدا حين دعونا إلى العودة إلى أرسطو ،وقالوا إن فلسفة المعلم الأول خالدة،مع أن النهضة الغربية قامت على نقض أرسطو وتزييفه والحملة على منهجه واعتبار هذا المنهج

عامل التجميد الذى عاش فيه الغرب معتقلا قرونا حتى جاء منهج التجريب الإسلامى الذى أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث ؛ لقد كان علماء المسلمين إنطلاقا من القرآن الكريم هم الذين أنشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى كان أول حجر فى بناء الحضارة والعلم بشهادة : درابر وبريفولت وجوستاف لوبون فى القديم وسارتون وهونكة وجارودرى فى العصر الحديث .

الحقيقة هى الخداع ، فهم يدعون المسلمين إلى فلسفة أرسطو بينما نقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين التجريبى ، ذلك أن أرسطو هو الذى سيضع المسلمين مرة أخرى داخل القوقعة المنطقية التأملية ويحرمهم من ثمرات منهج التجريب الذى أنشأوه ونماه الغرب .

ومن هنا نشأت تلك الأكذوبة الكبرى التى تقول إن العرب والمسلمين خضعوا لمنهج اليونان وأرسطو فى القديم ولما كان الفكر الحديث هو ثمرة فكر اليونان فإن تبعية المسلمين والعرب له لا تعد شيئا جديدا ولا غريبا لأنهم كانوا تابعين لليونان فلا عجب أن يتبعوا ما جدده أحفاد اليونان .

الحقيقة أن لنا موقفاً إزاء مناهج الفلسفة التى تدرس فى الجامعات، فإنها تنطلق من منطلقات الغرب ولا تستجيب لمفاهيم الإسلام ولا تورد هذه الحقائق، وتصور دور المسلمين فى الفكر الفلسفى تابعا وخاضعا للفكر الغربى، والحقيقة أن الفلسفة بمفهوم فهم عالم الغيب وما وراء المادة ، هى شئ لا يحتاج إليه المسلم لأن قرآنه الكريم وسنته الشريفة قدمت له منهجا كاملا لما يسمى (**الميتافيزيق**) وذلك رحمة من الله تبارك وتعالى الذى لا يريد أن يشغل الإنسان نفسه بالبحث فى هذه العوالم المجهولة عنه ، وذلك حتى يفرغ نفسه لمهمته الحقيقية وهى السعى فى الأرض والكشف عن ثمارها ومذخورها .

ولذلك فإن الشيخ مصطفى عبد الرازق رئيس قسم الفلسفة فى كلية الآداب وسيد من تولى هذا المنصب حتى اليوم قد فصل فى هذا الأمر على نحو صحيح ومن خلال دراسات الجامعة نفسها وبالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الآداب حين قال :

إن الفلسفة الإسلامية إنما تلتمس فى كتب المتكلمين والفقهاء، وإن الإمام الشافعى واضع علم أصول الفقه وهو أول الفلاسفة فى الإسلام وأن مقامه فى العربية هو بمثابة مقام

أرسطو فى اليونانية وبذلك نشأت مدرسة الأصالة فى مجال الفلسفة وامتدت من بعد واتسعت،وكان من اتباعها الخضيرى والدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة والدكتور على سامى النشار ومنذ صدور كتاب مصطفى عبد الرازق تمهيد فى تاريخ الفلسفة الإسلامية[عام ١٩٤٧ وقد تبلورت]الحقيقة وتحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الأصالة فيها فلماذا هذه الردة على يد الأساتذة الجدد ؟.

لقد أثبتت مدرسة الأصالة فى الفلسفة الإسلامية (**دكتور عبد الهادى أبو ريدة ودكتور على سامى النشار**) أن المنطق الأرسطوطاليسى : منهج الحضارة والفكر اليونانى لم يقبل فى المدارس العقلية الإسلامية وأن المنهج التجريبى الإسلامى هو الذى عرفته أوربا بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة لما بينته للحضارة اليونانية،وأن اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر (**روح الحضارة الإسلامية**) فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجريبية . تتجه إلى تحقيق الفعل الإنسانى فى ضوء نظرية حية ملموسة، كذلك فقد كشفت الأبحاث المتعددة عن اضطراب خطير فى المراجع التى اعتمد عليها هؤلاء الفلاسفة .

ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية ومذهب أرسطو بالذات قد بدأت منذ تمت الترجمة وأن

المعارضة بدأت منذ اليوم الأول ، ذلك أن الفكر الإسلامى كان قد تم تشكله قبل الترجمة على أساس قيمه القرآنية من التوحيد والأخلاق ومن الربط بين الوحى والعقل ولذلك فإنه كان من العسير أن تنصهر فيه الفلسفة اليونانية أو ينصهر فيها خاصة وهى فلسفة مجتمع وثنى قام على العبودية وإعلاء العقل وعبادة الجسد ، وقد فشلت محاولة المشائين المسلمين فى إدخال الفلسفة اليونانية فى إطار الإسلام وكانت وقفة الإمام الغزالى فى وجه الفلسفة الإلهية اليونانية وقفة صارمة ردت السهم إلى نحور أصحابه .

واليوم يتكرر الموقف تماما فإنما يريد التغريبيون بهذه الأسئلة المثارة فى مكر شديد ، كيف تواجه الفلسفة الإسلامية أيدلوجيات الشرق والغرب ، أو إحياء الفلسفة الإسلامية وظهور فيلسوف مسلم معاصر ، كل هذه تعلات تريد أن تعيدنا إلى نفس الموقف وإلى إدخال مفاهيم الفلسفات الغربية المادية القائمة على الإباحية وعبادة الجسد والتحرر من القيم الأخلاقية وتبادل الزوجات ، ومعسكرات العراة ، ومفاهيم الماسونية والمارجونا والمخدرات ، وتدمير النفوس والأجساد والغربة والتحلل والتمزق النفسى ، إدخال الفلسفة الغربية التى تحمل هذه المعانى جميعها إلى الفكر الإسلامى بحجة (**التزاوج بين التراثين الإسلامى والغربى**) .

وما كان لهما أن يلتقيا أو يتزاوجا ولقد ظل الفكر الإسلامى قادرا على الحفاظ على ذاتيته الخاصة وطابعه الربانى وشخصيته المستقلة فى أشد الظروف وأقساها فى محاولات احتوائه وصهره وحصاره .

ونحن نكشف اليوم هذه المؤامرة ، كما كشف الإمام الغزالى عن أخطاء الفلسفة اليونانية فقد عارض الإمام الغزالى الفلسفة الإلهية فى قضاياها الثلاث الكبرى التى تقرها الفلسفة اليونانية وتختلف عن مفهوم الإسلام ،.

١ – مايقولون به من قدم العالم وأن الله (**جل وعلا**) لا يحيط علما بالجزئيات .

٢ – وإنكارهم البعث .

٣ – الزعم بأن العالم قديم،ومن قالوا إن النفس تموت ولا تعود ، ومن أنكروا الآخرة .

هذا وقد كشف الإمام الغزالى بالنسبة للفارابى وابن سينا خطيئة أخرى نعلنها حتى يستحى الذين يفخرون بالفارابى وابن سينا فقد عرفت روابطهم بالدعوات الباطنية الهدامة وإخوان الصفا والقرامطة،وما ثبت من ذلك بنصوص ووثائق،ومن أنهم كانوا على اتصال بأعداء الدولة وبينهم مكاتبات .

ولقد كشف الإمام ابن تيمية فى كتابه (**الرد على المنطقيين**) حقيقة واضحة هى أن الفكر الإسلامى لم يستخدم أرسطو كما يدعون وإنما كان له منطقه الخاص به المستمد من القرآن والسنة ؛ وقد استخرج نصوص هذا المنطق وكشف عنه وقال إن هذا المنطق كان فيه غنى للمسلمين عن العقلية الغربية فى الحكم على الأشياء وفى الاستبصار والتأمل الفلسفى ورد على المنطقيين الذين استحكمت فى عقولهم آثار الفكر اليونانى وطوابعه وعزلتها عن الاقتباس من فلسفة القرآن والحديث النبوى ومنطقهما ومما قاله :

إن ما عند أئمة النظار من أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية ، فقد جاء القرآن بما فيها من الحق ، وما هو أكمل وأبلغ منها على أحسن وجه منزه من الأغاليط الموجودة عندهم ويقول الدكتور النشار : كان ابن تيمية رائداً لكل الاتجاهات الحديثة فى نقد منطق أرسطو من إرجانون فرنسيس بيكون إلى المنطقية الوضعية وقد عنى بنقد الفلاسفة أمثال الفارابى وابن سينا وابن رشد وكل من وافقهم فى التشيع لمنطق أرسطو وأشار إلى خبث محاولتهم وعقم تجربة التلفيق عندهما (الفارابى وابن سينا) بين الإسلام والأفوطونية المحدثة ،ورأى أن هدف التلفيق هو

هدم الإسلام من الداخل وهناك كتب كثيرة ألفها المسلمون فى هذا الصدد لمن يريد المراجعة ومنها (**ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**) بقلم محمد بن إبراهيم الوزير الحسنى اليمنى الصنعانى المتوفى ٨٤٠ هـ .

وليعلم الذين يتشرفون بأن الفارابى وابن سينا هم من المعلمين الأول للفكر الإسلامى أن ذلك محض اختلاق وأنهما فى الأخير من دعاة الباطنية العاملين لهدم الدولة الإسلامية .

درت هذا ما أأن أعرضه على شبابنا الذى قرأ حكاية إحياء الفلسفة الإسلامية (**والمقصود بها ابن سينا والفارابى وأرسطو**) وهذه المسلمات الباطلة ولعل فى هذا القدر ما يكشف زيف هذه الدعاوى المدعاة .

الفصل التاسع

ليس من حق الحضارة الغربية التحكم فى النفس المسلمة

(الصحوة الإسلامية وحضارة الغرب)

برزت آثار الصحوة الإسلامية فى مجالات واسعة :

أولا : لفتت أنظار كثير من مفكرى الغرب إلى الإسلام فوجدوا فيه ، ذلك الشيء الغائب عن أنظارهم وأفكارهم ، ولكنه ما زال يبرق من وراء القلوب والضمائر ، لأن النفس إذا استجاشت بكراهية الواقع وتطلعت إلى الأفق ، فتحت لها الفطرة آفقا من آفاق الغيب .

وهذا هو ما نراه فى الغرب اليوم من إقبال على الدخول فى الإسلام ، لطبقة ذات خطر هى طبقة المثقفين والمثقفات (**وهذا ما تكشف عنه السيدة صافىناز كاظم** فى لقائها بالمحجبات من المسلمات الغربيات فى أحد مؤتمرات الصيف الماضى) .

ثانيا : الأصالة : وهى ظاهرة واضحة الدلالة تعمل عملها اليوم فى الكشف عن الزيف والتطلع إلى المنابع الصحيحة ودحض المفتريات التى ما تزال تتردد فى أساليب مختلفة ، منذ مطلع النهضة ، وقد واجهها المفكرون المسلمون

وعروها ولكن خصوم الإسلام مازالوا يعاودون الكرة ويلبسون على المسلمين بالزيف والأكاذيب والشكوك .

ثالثا : إعادة النظر فى كثير من المسلمات القديمة فى مقدمتها الاعتراف :

١ – بحضارة الإسلام ودورها فى بناء الحضارة الغربية المعاصرة .

٢ – فى العودة عن كثير من المنقولات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ – بتطلع الغرب إلى أفق جديد يحقق أشواق النفس البشرية بعد أن تخبط الغرب حول كثير من الأيدلوجيات الليبرالية والماركسية وما يتصل بالبوذية والمهاريشى وغيره من أضاليل لم تحقق له شيئا .

ويصور هذا الموقف كاتب مسلم أقام فى الغرب وعاش قريبا من هذه التحولات ذلك هو الدكتور رشدى فكار الذى يقول :

إن الإنسان الغربى على مسار قرنين من الزمان اكتسب كل شىء – إلا نفسه – ففى الاكتساء ببريق الخيوط الصناعية وجد نفسه فى قمة العراء والعرى ، لقد حقق الوفرة ، ولكن ما حققه سيتركه لغيره ولم يحقق ما يبقى له

من الأعمال الباقية وإن الميت ينزل إلى قبره محمولا . إن المال والبنين زينة الحياة وليسا معا جوهر الحياة ، الفقير يحتضر من الحرمان والمتقدم يحتضر احتضارا بشعا من فرط ماعنده ، وهنا يأتى الإسلام بدعوة الأخذ بنصيب من الدنيا والعمل للآخرة ، إجابة شافية عن حيرة الإنسان فى القرن العشرين ، إن أزمة الغرب هى أزمة من ضاع منه الطريق والحوار معه عبث ، الحوار مفقود لأنه أساسا غير موجود ، لماذا الإسلام ؟ إن المذاهب المعاصرة لم تعط ما يخفف حتى من حدة الحيرة وقادة المنظرين فى المذاهب المعاصرة هم أكثر الناس حاجة إلى الفلاح ، وقادة الفكر يبحثون فى الأزمات عن البدائل ، ومن يرد الله أن يهديه يشرح له صدره للإسلام ، إن السكينة الإسلامية غير الجدل الروائى إنها شيء أكبر بفضل مدد علوى ، هو اطمئنان وتواصل يفيض هناءات تهون أمامها الخطوب وتتجدد الرؤى وتشرف النفس من عليائها تميزها الجديد أمام احتدام الأمور ، إنها ميلاد للنفس يعود به الإنسان من غربته »

ويقرر الدكتور رشدى فكار بأسلوب علمى ما تقرر على ألسنة الباحثين والدارسين للحضارة الغربية ومحاولةسيطرتها على العالم وفرض نموذجها فى نفس الوقت الذى تعرف

أنها لا تستطع أن تلبى حاجات الإنسان الحقيقية ، والروحية والنفسية منها على وجه الخصوص،ولذلك فهى تتركه وشقه مائل ، نحو المادة وحدها ، وما خلقته المادة من أزمة وتدمير وتمزق نفسى فضلا عن احتكار العلوم التجريبية وكيف أنها دخلت فعلا إلى مرحلة (**المأزق**) وبدأت البشرية تبحث عن البديل

« حينما أراد الغرب وقد انتصر فى معركة العلوم التجريبية إن يملى انتصاراً فى علوم الإنسان ويلزم الإنسان فى كل مكان أن يكون صورة من الإنسان الغربى ، وذلك بالاحتكار فى العلوم الإنسانية الغربية،وليس من حق الحضارة الغربية التحكم فى النفس المسلمة ، وقد دخلت هذه الحضارة إلى مرحلة المأزق وقد بدأت تبحث عن بديل البديل ، بمعنى أن البدائل التى طرحت فى القرن التاسع عشر لإنقاذ الإنسان بفلسفة الإنسان بعد أن تنكرت للميتافيزيقا وعكفت على المادية ، هذه البدائل المستمدة من نظرية التطور والدارونية والتى كونت القومية الماركسية ، وصلت إلى المأزق وأخذت تتطلع إلى بدائل جديدة »

ومن ثم فقدت البشرية ثقتها فى الأطروحة الغربية « وبدأ البسطاء يتجهون إلى الإسلام فى كل القارات أما فى

القرن الهجرى الجديد ، فقد رأينا عباقرة الفكر وفلاسفة الاستكبار والتحدى بدورهم بدأو يقولون : الإسلام .

يقول الدكتور فكار : الإسلام يتجاوب اليوم مع أقدر العقول فى الوقت الذى يتراجع فيه المسلمون . لسر يعلمه الله، إن الإسلام يتقدم فى عصر تراجع المسلمين، وهذا شىء لافت للنظر ، وحال المسلمين كما يشاهد الآن ، ومع ذلك فإن الإسلام يتقدم بثبات ، ولقد جرى الفلاسفة حول مذهب ومذهب ، المادية والوضعية وغيرها ، وما وصلوا إلى شىء ، ولا أعتقد أن هناك دينا مؤهلا للعطاء فى هذا العصر غير الإسلام ، لا أعتقد أن هناك دينا كونيا مؤهلا يتعامل مع الإنسان غير الإسلام ، لأن الإسلام لا يصادر العقل ويشجع العلم والابتكار والفنون والمعرفة ،والمعروف أن الإسلام اليوم يزحف زحفا غربيا فجارودى يعتبر من عمالقة فلاسفة العصر ، كان متربعا على عرش الريادة الكونية فى الفلسفة، وفجأة ــ سبحان الله ــ اكتشف أنه لا شىء مع أنه قمة، لماذا ؟ لأن الرجل كانت له شجاعته فى الإعلان عن أن (**المأزق الغربى**) قد قاده إلى الإسلام .

ولقد كان جارودى منسقا كبيراً للماركسية، ومن كبار الشراح للمادية ، وأنه قبل إعلان إسلامه أحدثت الحضارة

فى مرحلة (**المأزق**) أزمة لعمالقة ثلاث من كبار مفكرى الغرب (**جاكوت مورنوه**) انتحر أبشع انتحار وهو عالم عظيم ورائد لمدرسة التفسير الاجتماعى فى الولايات المتحدة والثانى (**التوسير**) وهو من أقدر فلاسفة المادية والماركسية وهو منظر عظيم فى الغرب وصديق لجارودى ، قتل زوجته وسلم نفسه وأحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية ، هكذا يواجه كبار علماء الغرب المأزق ، ومن هنا فإن جارودى حاول الخروج من المأزق بالإسلام ، فقد تخطى عقبة « **اليأس** » التى وقع فيها زملاؤه ، بعد أن آمن بأن العقل فى قمة عطائه الفكرى ، لا يستطيع أن يعطى النفس كل مطامحها ، إن الجميع يعلن (**المأزق**) وربما كان أكثرهم نزاهة هو عميد فلاسفة العصر (**هايدى جاردن**) الفيلسوف الوجودى ، الذى أصر على أن الطريق مسدود وأن أوربا اليوم فى ليل القلق ، وقد تحدى هذا المفكر الأزمة ومات وهو فى قمة الإعلان عن الإفلاس ، كما قال سارتر قبل وفاته : إن فلسفتى قادتنى إلى هزيمة نكراء حينما سئل وهو يحتضر : وسارتر معروف أنه موضع تقدير الشباب والطلاب فى الجامعات ، عندما كان يحتضر طلب أن يؤتى له بقسيس من قرية ، قال لأننى لا أميل أن يأتينى كردينال لأنى اعتقد أنه نبى مغشوش ، أريد قسيسا وجاءوا إليه بهذا الرجل البسيط

ليعطى له الغفران أو الاعتراف وأعلن حينما سئل : إلى أين قادتك فلسفتك قال : فلسفتى قادتنى فى النهاية إلى هزيمة نكراء » .

هذا هو جو الطبقة العليا من مفكرى الغرب فى العقد الثامن من القرن العشرين بين منتحر وقاتل ومعترف وبين رجل قال لا رجاء إلا فى الإسلام فنجا، ذلك هو جارودى : الذى دافع عن الماركسية بكل شجاعة وعن الاشتراكية العلمية بكل نزاهة وحينما اكتشف أن الحضارة قد دخلت مرحلة (**المأزق**) والطريق المسدود أعلن فى نفس النزاهة والشجاعة والقوة : إنه لا رجاء إلا فى الإسلام ولذلك سمى نفسه رجاء جارودى أى لا رجاء إلا فى الإسلام

وإذا كانت هذه هى صورة الغرب اليوم فى أعلى دركات مفكريه وفلاسفته فإن الصورة لاتكتمل إلا حين ننظر إلى الجانب الآخر ، إلى جانب المسلمين والمسلمات فى الغرب وهم يشكلون مجتمعهم الجديد فى قلب مصارعات الإلحاد والإباحية والعلمانية .

« **هؤلاء المسلمون الجدد** » فى قلب أوربا وأمريكا :

تقول السيدة صافى ناز كاظم : الحقيقة التى تفرض نفسها على الجميع : أن عصر الإسلام يزحف بصحوته

العالمية وهو يبزغ من خلال مسامين جدد ينبثقون كنوار الفرح كل يوم على خارطة الدنيا فرادى وجماعات ، أطفالا وشبانا وعجائز ، تعلقوا بشهادة التوحيد نجاة لهم قبل الممات .

وفى ندوة الدولة والسياسة فى أوربا فى الصيف شديد القيظ ، وبين طوفان الأجساد العارية جاءت كل واحدة منهن تخطو شامخة بزى إسلامى كامل ، إلا أن الوجه يتميز بشكل قطعى ، عن وجوه المسلمات التركيات والهنديات، وأقترب إلى الأوربية المحجبة وقد أجدها ألمانية أو نمساوية أو انجليزية أو سويسرية جاءت من قارتها البعيدة لتتزوج من مسلم ألمانى تعارفا بالمراسلة واجتمعا بالإسلام وألحظ عندهم شدة الالتزام بالقواعد الإسلامية فى المأكل الحلال والملبس الصحيح مع الوعى العميق بالعقيدة فكراً وسلوكا وموقفا .

إننى أمام نمط من المسلمين خاصة : المسلمات دخل الإسلام منذ أسبوعين أو عام أو عامين أو أقدم أمداً يتحدى العشرين عاما ،علم نفسه الإسلام حين التقى به ربما – صدفة ، فشده التوحيد نحو البحث والتأمل فامتلأ العقل حتى جاءت لحظة الإيمان فانغمر القلب بالضوء ، بعضهم يظل مؤمنا لسنوات ولا يعلن إسلامه إلا بعد فترة ويأتى مع الإعلان : الالتزام

القاطع والحماس الجياش لبث الدعوة لهذا الاكتشاف الذى يبدو مع جديته ، وكأنه كان دائما هناك فى قاع القلب وزوايا الصدر وهذا حديث مع هذه الألمانية :

- هذا الزى الإسلامى ألا يزعجك فى الحر؟

- لا يزعجنى ، ولكنى أسألك وماذا لو أزعجنى .

- ألم تشعرى أنه بإمكانك أن تكونى مسلمة من دون ارتدائك للزى الإسلامى ؟

- ليس بإمكانى عدم ارتدائه لأن الأمر بارتدائه واضح فى نص القرآن الكريم وواضح فى حديث رسولنا ﷺ ولا معنى عندى أن أقول : اعتنقت الإسلام ثم ارتدى ثوبا مخالفا لأوامر الإسلام ، إننى عرفت الواجب فى زى المسلمة قبل اعتناق الإسلام وقبلت الإسلام بكل شروطه والتزماته .

أما الإنجليزية المسلمة فتقول : إن القرآن يأمرنا بتغطية الشعر والأزرع والأقدام ، ولأننى أعيش فى هذا المجتمع الغربى فإنى متعودة على رؤية هذه الأزياء التى تلبسها المرأة الغربية ولا تشعر معها بالعار أو الخجل، وهكذا الناس هنا يمارسون أشياء كثيرة ضد الفطرة ، وهذه الأخلاقيات يرفضها الإسلام الذى يأمر بإخفاء معالم الفتنة فى المرأة ولا

ينظر الرجل إلا إلى زوجته فقط ، لا اعتقد أنه بالإمكان صدور قانون بانجلترا يسجن المسلم ومع ذلك فلو افترضنا تحقق هذا المستحيل فإنى مستعدة أن أموت دفاعا عن دينى .

وتقول مسلمة أوروبية أخرى : لابد أن أكون تماما كالإسلام مادمت قد اعتنقته عن إرادة واختيار وإلا أكون كاذبة ، ولماذا أكذب ولم يجبرنى أحد على الإسلام » .

هذا جانب آخر من الصورة للإسلام فى الغرب فى العقد الأول من القرن الخامس عشر فإذا أردنا أن نسأل ماهى العوامل التى تدعوا الغربيين إلى اعتناق الإسلام اوجدنا

أولا : البحث عن سكينة النفس وطمأنينة القلب .

ثانيا : الإسلام يقول فكر ثم اقتنع أما فى غيره فيقولون آمن ثم فكر .

ثالثا : الدعوة إلى العدل والإخاء الإنسانى بالرغم من فوارق اللون والجنس .

الفصل العاشر

الصحوة الإسلامية

هل تلتمس العودة إلى المنابع

أصبح حديث الصحوة الإسلامية على كل لسان ، على ألسنة التغريبين والعلمانيين والماركسيين جميعا ، يسابقون فيه أصحاب الدعوة الإسلامية ويناقشونهم ويكادون يخطفون منهم القوس . وهم يهدفون بذلك إلى تزييف المفاهيم الصحيحة وإفساد المنطلق الصحيح ويحولون القضية : التي هي قضية الأصالة والتماس العودة إلى المنابع إلى فكرة جزئية هي التقدم العلمي والسبق في مجال المعطيات المادية وفق مفهوم مسموم ، ذلك هو قولهم أن على المسلمين أن يضحوا بكل شيء في سبيل هذا التقدم الحضاري المادي الذي مهما بلغنا فيه من أشواط فلن نوازي أهله وإنما نحن نؤمن بأن نطوع هذا التقدم لمفهوم الإسلام نفسه أولا . وأن نبني من خلاله الحضارة الإسلامية بإيمانها بالله تبارك وتعالى وصدورها من خلال مفهوم الإسلام الجامع ماديا وروحيا .

فليست الصحوة الإسلامية وسيلة للانصهار في الفكر الغربي أو الحضارة الغربية ولكنها محاولة للتميز الإسلامي

الواضح فى مفاهيم الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية وتقديم ذلك النموذج الربانى الأصيل للبشرية كلها ، لا الانصهار فى النموذج الغربى على النحو الذى يريده خصوم الصحوة .

وليست الصحوة أيضا وسيلة لتبرير واقع المجتمعات الغربية والمجتمعات الشرقية المقلدة لها ولا واقع الحضارة العصرية بقبول مناقصها وانحرافاتها وأخطائها فالإسلام حاكم على المجتمعات والحضارات ،وعلى هذه الحضارة أن تصحح مسيرتها حتى تلتقى به ، وتقبل الحدود والضوابط الربانية التى جاء بها الدين الحق .

إن أول ما تطالب به الصحوة الإسلامية هو العودة إلى المنابع وإعادة صياغة المجتمعات من جديد وفق مفهوم التوحيد الخالص وأخلاقية الحياة وإذا كنا اليوم إزاء عبارات كثيرة وبراقة تقال ومصطلحات وافدة فيجب أن يكون رائدنا القرآن فى إضاءة الطريق .

وعلى الأمة الإسلامية وهى تدخل مرحلة النهضة أن تواجه قضاياها بالعزائم لا بالرخص ، وخاصة فى المعاملات الاقتصادية وعمل المرأة ومجالات الفنون والتسلية .

إن أول ما تتطلع إليه الصحوة الإسلامية هو الدخول فى مرحلة الخروج من الأهواء والشهوات والمطامع والترف ، ذلك أن هذه كلها هى علامات عصور التفكك والانحلال ولا فائدة ترجى فى هذه المرحلة من الحلول المؤقتة أو قبول الاصلاحات الجزئية ، لقد أنشأ الإسلام حضارته من خلال منهج حياة وبنى مجتمعه من النقطة الأولى .

وقد استطاعت حركة اليقظة خلال العقود السابقة من القرن الرابع عشر ، أن تقنع عامة المسلمين بأن الإسلام قادر على أن يقدم الحلول لمشكلاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، وأن الإسلام قد فعل ذلك فى الماضى ، وهو قادر على تكرار التجربة مرة أخرى ، بحيث يقدم للبشرية ذلك العطاء الذى نتطلع إليه اليوم ونبحث عنه وقد فشلت الإيدلوجيتان الليبرالية والاشتراكية وعجزتا عن العطاء الحقيقى وأن تطبيق الإسلام كمنهج حياة سيكون كفيلا بأن يحل قضايا العدل الاجتماعى والشورى السياسية والاستقامة الاجتماعية على أمر الله .

وإذا حاولنا أن نراجع الأسباب التى قادت الأمة الإسلامية إلى مرحلة الصحوة الإسلامية لوجدنا أنها ثمار

اليقظة التى بدأت منذ استعلنت كلمة التوحيد فى العصر الحديث على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية ثم تعددت الدعوات فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، أندونيسيا والهند ومصر وشمال أفريقيا والسودان وكلها كانت تبنى لبنة بعد لبنة فى هذا البناء الذى عرف من بعد باسم حركة اليقظة الإسلامية والذى دعا إلى تطبيق حكم الله تبارك وتعالى من منطلق أن الإسلام هو نظام مجتمع ومنهج حياة .

وقد حاول بعض الباحثين أن يرد أسباب الصحوة الإسلامية إلى عدة عوامل أهمها :

أولا : بعد أن جرب العرب والمسلمون الليبرالية والشيوعية ولم يجنوا منهما إلا الهزائم ، تلو الهزائم مما اقنع الجميع بحتمية الحل الإسلامى وذلك يعنى إفلاس الأنظمة العالمية .

ثانيا : بعد أن انتشرت الشبهات والأغاليط والسموم التى أثيرت حول الإسلام وتاريخه ورسوله تبين فساد ذلك كله وتكشف أن الإسلام يختلف تماما عن الأديان البشرية وعن تفسيرات الأديان وأن حقائقه هى الحقائق التى لا تستطيع الأزمان أو البيئات أن تنال منها .

ثالثا : ظهور صيحات المثقفين فى الغرب حول التطلع إلى أفق جديد لبناء المجتمع الإنسانى وتوصل بعض المفكرين الغربيين إلى حقيقة أساسية وهى أن الإسلام قادر على أن يقدم للبشرية المنهج الأمثل .

رابعا : قدرة الإسلام الذاتية على الانتشار وتوسعاته فى جميع القارات وعودته إلى أوربا بأعداد ضخمة وبنائه نموذجا للمجتمع الإسلامى .

خامسا : تصحيح المفاهيم والعودة إلى المنابع والتحرر من العقابيل التى قيدت المسلمين فى العصور الأخرى حول نحل وفرق وظهور الدعاة القادرين على كشف زيف المذاهب المنحرفة والمتحللة .

سادسا : الإيمان بأن الأمة الإسلامية لها منهجها الأصيل القادر على إخراجها من الأزمات وتغلبها على التحديات كما فعلت من قبل فى حروب التتار والصليبيين ، وهى قادرة اليوم على إعادة الكرة فى مواجهة التحديات التى تواجه العالم الإسلامى اليوم .

ولكن الخطوات التى قطعتها الصحوة الإسلامية مازالت بطيئة وما زالت قوى كبرى تحاول أن تعوق هذه الوجهة ، وأن مجموعات متعددة متباينة الوجهة من ناحية العقائد ،

تتفق وجهتها فى مقاومة التقدم الإسلامى ، وتعمل على وضع العراقيل ، وأن من يملك منها يفسح الوسيلة لمن لا يملك لبث سمومه حتى بدا وكأن هذه القوى كلها مجمعة على مقاومة الصحوة الإسلامية وتحطيم قوائمها والإدالة من أجنحتها التى تحاول أن تمدها ، ولا شك أن الصهيونية والشيوعية والنفوذ الاستعمارى الكامن وراء القوى الليبرالية والرأسمالية الغربية كلها تشكل الصعوبة الأساسية أمام نماء التيار الإسلامى وقدرته على الحركة وهى تعتمد على الواقع المباشر فى العالم الإسلامى والذى تشكل خلال سنوات طويلة فى الحيلولة دون تغيير سريع للأعراف الاجتماعية والتحول نحو المفاهيم الإسلامية ، ومن ذلك الصحافة والتعليم والقانون الوضعى ،هذا فضلا عن المخططات التى تعمل على إعادة إحياء الخلافات المذهبية القديمة والفكر الوثنى والباطنى والعلمانى المختلف ، فضلا عما تطرحه دوائر الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى من إحياء لفتن قديمة ولصراعات مذهبية ماتت وقبرت ويرجع ذلك إلى عدم قدرة العالم الإسلامى بعد تحرره من النفوذ الأجنبى من امتلاك إرادته فى العودة إلى الشريعة الإسلامية وطرح القانون الوضعى وتطبيق نظام التربية الإسلامية بديلا لنظام التعليم الوافد ، وكذلك العجز عن التحرر من النظام الغربى الربوى المعقد المسيطر على أسواق

التجارة والمال والاقتصاد بمشاكله وقضاياه التى تهز المجتمعات العالمية الآن نتيجة الخضوع لنظام الفائدة الربوى فى براثن التضخم وانسياق المجتمعات الإسلامية وراء ذلك دون التمكن من تحرير الاقتصاد الإسلامى الذى يمتلك اليوم قدرا ضخما من المدخرات والفوائض ، ومن أهم الأخطار التى تحول دون عودة المسلمين إلى الأصالة وإلى المنابع ، تقوقعهم فى إطار التنظيمات الإقليمية والقومية المجمدة ، التى تقف من الوحدة الإسلامية موقفا غامضا ، وكذلك الفصل بين الدين والدولة .

وهى مواقف خطيرة تحتاج إلى حلول عاجلة . وإلى خطوات حاسمة على طريق التخلص من قيود العلمانية وتجاوزها إلى آفاق إسلامية أرحب .

ونحن حين ننظر نجد أن بعض الغربيين المنصفين يستجيبون لهذه الخطوة فيقول (جيمس بيسكاتورى) : «إن الفكر الغربى خاضع لما ورثه من عهود الحروب الصليبية وأن المحللين الغربيين رأوا استحالة نهوض المسلمين ولحاقهم بالعصر الحديث دون تبنيهم (العلمانية) التى هى اللادينية على الحقيقة ، لقد ربطوا بين التحديث والعلمانية ربطا لافكاك فيه ، كذلك فإن التفكير الغربى (النمطى) قد قاد الغربيين إلى النظر إلى الإسلام فى إطار الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية وليس فى إطار تعاون محتمل يرتكز إلى

قيم مشتركة بينها ، إن على الغربيين أن يتعلموا التعامل مع الظاهرة الإسلامية على أنها وجدت لتبقى ، إن الإسلام موجود الآن فى صفوف الحكم والمعارضة سواء كان ذلك إيماناً به أو تظاهراً أمام الجماهير المؤمنة به .

كذلك أصبح الطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية تربة خصبة لتفريخ الحركات الإسلامية . وعادة ما يرجع هؤلاء الطلاب الذين يتلقون علوما مختلفة فى الغرب ليتسلموا مراكز قيادية فى بلدانهم ، وهذا يتيح لهم نشر أفكارهم الإسلامية » .

ولعل هذا يلقى الضوء على أن الصحوة الإسلامية قد أصبحت حقيقة واقعة لا سبيل إلى تجاوزها وعلى الغرب أن يتعامل معها كواقع .

هذا وبالله التوفيق .

أنور الجندى

رقم إيداع ٨٥/٤٢٢٧
ترقيم دولى ٦ — ٢٤ — ١٤٣٠ — ٩٧٧